# هَل تَسمَحُونَ لي أَنْ أُحبّ وَطَني

## سعاد محمد الصباح





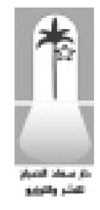
هَل تَسمَحُونَ لي أَنْ أُحبّ وَطَني

| الطبعة الأولى | 1990 | الطبعة الثانية | 1991 |
|---|---|---|---|
| الطبعة الثالثة | 1993 | الطبعة الرابعة | 1994 |
| الطبعة الخامسة | 1997 | الطبعة السادسة | 2016 |

**الناشر:**
**دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع**
ص.ب: 27280 - الصفاة
الرمز البريدي: 13133

الترقيم الدولي
I.S.B.N: 978-99906-2-056-6

* الغلاف: تفصيل من لوحة للكاتبة



# هَل تَسمَحُونَ لي أَنْ أُحبّ وَطَني

د. سعاد محمد الصباح

الطبعة السادسة

2016



# كويتيون بلا قبور

# كويتيون بلا قبور

لم يغنِّ أحد لمجد العراق كما غنّيت أنا.

ولم يَسْقِ أحدٌ مياهَ دجلة بدموعه، كما سقيتُها أنا.

ولم يرشق أحدٌ جنودَه بالورود والريحان، كما رشقتهم أنا.

وأخيراً، لم تتمنَّ امرأة عربية أن يكون جسدها «نخلة تشرب من شطّ العرب» إلا أنا..

لقد كنتُ دائماً متَّهَمَةً بأنني عراقية الهوى، وأن كتاباتي، شعراً ونثراً، مبلّلة بأمطار العراق، ورطوبة أنهاره، ونضارة بساتينه.

وكنتُ دائماً أفاخر بهذه التهمة الجميلة، لأنني كنت أعتبر العراق الجناح العربي القومي الذي يغطينا، ويحمينا، ويدافع عن مستقبلنا ومستقبل أولادنا.

وبكلمة أخرى، فإن التزامي بالخط العراقي، كان التزاماً بالخط القومي، الوحدوي.

كان العراق يمثل لي، تلك القوة الصاعدة الواعدة، التي افتقدناها في السبعينيات، كما كنت أرى فيه البديل القومي، والإستراتيجي الذي سيصحح ميزان القوى بيننا وبين إسرائيل، وينهي حالة الهوان، والتخاذل والتشرذم والانفلاش، التي عصفت بدول المنطقة.

فإذا كنت وقفت مع العراق كما وقف كل أهل الكويت في أيام الشدة فلأنه يمثل لنا السند والمدد، والضمانة القومية والخيار

القومـي الوحيـد بعدمـا سـقطت جميـع الخيـارات.

فـما الـذي حـدث حتـى غامـت الصـورة الجميلـة، وبهتـت ألوانها؟ كيـف يبسـت بـين عشـية وضحاهـا بسـاتين النخيـل في قلبـي، وماتت العصافـير، واختفـى ضـوء القمر؟

كيـف انكـسر زجـاج السـماء فجأة فـوق رأسي.. ودخلت شـظاياه في عيوني؟!

إننـي أكتـب هـذه الكلـمات وأنـا مدفونـة تحت رمـاد هـذا الزلزال العنيـف الـذي طمـر أحلامـي الجميلـة.. وطمرني.

إننـي أتابـع نـشرات الأخبار عـلى التلفزيون البريطـاني، مع آلاف من الكويتيـين فـلا نصدق ما نـرى.. ولا نصدق ما نسـمع.

كيـف يمكننـي أن أصـدق، أنـا العربيـة الكويتيـة، أن بلـدي يلغـى بجـرّة قلـم.. وأن تاريخـي تأكلـه جنازيـر الدبابـات الصديقـة؟!

كيـف يمكـن أن أسـتيقظ صباحـاً، لأجد نفسي بلا بيـت، ولا أهل، ولا هويـة، ولا تذكرة سـفر أعود بهـا إلى ربعي، وديـرتي، وأبناء عمومتي؟!

مـن ذا يصـدق أن يمـوت عمي بين يـدي في أحد مستشـفيات لندن، بجلطـة في دماغـه بعد سـماعه أنبـاء الغزو العراقي عـلى الكويت، ولا أسـتطيع أن أنقلـه إلى الكويـت ليدفن في ترابها حسـب وصيته، وأبقى أيامـاً أفتّـش له عن تـراب يحتويه؟

هـل أصبـح الكويتـي الـذي يموت في الخـارج ممنوعاً من السـكن في مقـبرة كويتية تسـتريح فيهـا عظامه؟!

وهـل مـن المعقـول أن يحتـل الجيـش العراقـي الصديـق.. بلادنـا ومقابرنـا أيضـاً؟!

ثـم مـاذا اجـترح أبنـاء الشـعب الكويتـي مـن آثـام حتـى يجـدوا

أنفسـهم، دون سـابق إنـذار، متسـولين عـلى أرصفـة المـدن الأجنبيـة بعدمـا تحولـت الدنانـير القليلـة الباقيـة في جيوبهـم إلى نفايـات؟!

مـاذا فعـل الكويتيـون حتـى يحـل دمهـم وتهـان كرامتهـم، وتنتهك حرمـة بيوتهـم؟! هـل هـذا هـو ثمـن عروبتهـم ونخوتهـم وعطائهـم، والتزامهـم القومـي؟!

اعـذروني، أيهـا السـادة، إذا كانت كلـماتي عصبية وحارقـة.. فالكتابة عـلى فوهـة بـركان، لا بد أن يكـون لها طعـم الحريق.

ورغـم الحـزن الكبـير الـذي يعتصر أعماقـي، ورغم الخـراب العظيم الـذي يتراكـم في صـدري وفـوق أوراقـي، فإننـي أعتـبر نفـسي ابنـة الكويـت أولاً.. وابنـة الكويـت ثانيـاً.. وثالثـاً.. وعـاشراً.. وأن العـدوان عـلى بلـدي غلطـة كـبرى كان مـن الممكـن تجنبهـا.

فالدبابة هي دائماً أسوأ مفاوض في التاريخ..

وقـوة المعـدن لا يمكـن أبـداً أن تنتـصر عـلى قـوة البصـيرة والعقل.. والصـاروخ قـد يهـدم مدينـة.. ولكنـه لا يهـدم تاريـخ شـعب، وتراثـه وعنفوانه.

غـداً.. سـتعود الدبابـات والمجنـزرات العراقيـة إلى حظائرهـا وهـي تبكي..

لأنها أضاعت طريقها إلى الهدف القومي الكبير..



# العدالة المتأخرة

# العدالة المتأخرة

بعدما ضرب الذي ضرب.. وهرب الذي هرب..

وبعدما أفرغ الجيش العراقي الظافر، كل ما في البيوت الكويتية من فضة، وذهب، وتلفزيونات، وثلاجات، ومكيفات هواء، وساعات، وخواتم، وأساور، وأحذية نسائية..

بعدما أكل «الجراد الصديق» الأخضر واليابس في مدينة الكويت، وبعدما أفرغوا المصارف، والمحلات التجارية، والسوبر ماركت، من محتوياتها.. ونقلوا كل سيارة تعجبهم إلى بغداد، وبعدما استحلوا على طريقة المغول والتتار كل ما وقع تحت أيديهم مما خف وزنه وغلا ثمنه، وبعدما قشطوا اللحم عن عظامنا.. وتركوا منازلنا قاعاً صفصفاً..

أمر سيادة الرئيس العراقي، أطال الله عمره، ونصر جنده، بإعدام كل جندي عراقي يقوم بأعمال السرقة والنهب، لأن هذا العمل يتنافى وقواعد الجوار ومناقبية العرب، والأخلاق العربية..

يا سلام.. على مبادئ حسن الجوار التي مضغتها جنازير الدبابات.

يا سلام على إنسانية عمر بن الخطاب.

وأخيراً.. يا سلام على العدل الذي يأتي بعد قطع رأس المظلوم والتمثيل بجثته.

الحقيقة أن عاطفة هذا الرئيس أبكتنا.. وغيرَتُه على أموالنا،

وبيوتنا، وأعراضنا.. حركت أعماقنا.

فباسم عشرات الألوف من الكويتيين الذين حولتهم خلال ثمان وأربعين ساعة إلى فقراء، ومتسولين..

وباسم آلاف الأطفال الكويتيين الذين استفاقوا يوم 2 أغسطس / آب، ليجدوا أنفسهم من دون أسماء، ومن دون آباء، ومن دون مدارس، ومن دون مستقبل.

باسم الوطن الصغير الذي وضعته في جيبك تحت شعار الوحدة العربية الكبرى، وانضمام الفرع إلى الأصل، وتصحيح التاريخ..

باسم مسرحية اللامعقول.. التي يتابع العالم فصولها، ولا يفهم شيئاً..

نشكرك على المرسوم الذي استصدرته بإعدام كل جندي عراقي يسرق بيتاً كويتياً.

فهل تسمح لي، يا سيادة الرئيس، أن أسألك سؤالاً مختصراً:

«.. والذي سرق الوطن الكويتي كله.. ما عقوبته؟».



# مبادرات بالجملة

# مبادرات بالجملة

مبادرات.. مبادرات.. مبادرات..

يطرحها الرئيس العراقي على العالم بالجملة والقطاعي.. بالرطل والكيلو.. باللغة العربية وباللغة الفارسية.. وكلها إن دلت على شيء فإنما تدل على التخبط، والإفلاس السياسي.

إنه يقفز فوق الحواجز الجغرافية، والتاريخية والعقلانية، متصوراً أن ما يفعله شطارة، ودبلوماسية، في حين إن العالم يستقبل كل هذه المبادرات بالشفقة والرثاء والسخرية.

هل من الممكن أن يبتلع دولة الكويت صباحاً.. ثم يجمع هيئة أركانه، وأعضاء القيادتين القومية والقطرية ليسألهم: أين سنتغدى أيها الرفاق؟

وفي أي مكان سنتعشى؟ ومع من نلعب الورق غداً؟؟

أكيد أن هذا الرجل لا ينام.. وأنه مرهق الفكر، وأكيد أنه أحرق كل المراكب وراءه، لذلك نراه يتعلق بأي خشبة طافية على وجه الماء حتى ينقذ نفسه، وينقذ نظامه.

وعندما تتحول الكوابيس الليلية إلى مبادرات، يصبح كل شيء ممكناً، فيتحول الأبيض إلى أسود، ويتحول الليل إلى نهار، ويتحول العدو إلى صديق، وتتحول أنهار الدماء التي سفكت في الحرب العراقية - الإيرانية إلى أنهار من الكوكاكولا.

هل ممكن أن ينقلب الرجل على نفسه مئة وثمانين درجة؟..

وهل يمكن لكل هذا الخراب أن يتكوم في المدن العراقية والإيرانية حتى الآن، ولعشرات الألوف من الأسرى والمعوقين والأرامل واليتامى، وهل يمكن لجهنم الحمراء التي بقيت تشتعل ثماني سنوات، أن تتحول إلى جنة تجري تحتها الأنهار؟

عندهم كل شيء ممكن.. من إلغاء الأوطان، إلى إلغاء الشعوب، إلى إلغاء التاريخ، إلى إلغاء الذاكرة.

لقد استقبلت إيران مشروع الرئيس العراقي للسلام بشماتة كبيرة وسخرية أكبر، فها هو شط العرب يعود إليها ملفوفاً بورقة سولوفان.

وها هي مطالب العراق التاريخية تتحول إلى بيوت من ورق..

وها هو التاريخ يبكي حزناً وقرفاً وإشفاقاً على من يكتبون التاريخ بدماء شعوبهم، ثم يلحسون ما كتبوه بعد خمس دقائق!!



# المتاجرة بحليب الأطفال

# المتاجرة بحليب الأطفال

آخر ما ابتكره الغزاة العراقيون لدولة الكويت، هو المتاجرة بحليب الأطفال.

فقد أعلنت سلطات الاحتلال أن الحصار العالمي المفروض على العراق سوف يطول الأجانب الموجودين في العراق والكويت المحتلة، بما في ذلك أطفالهم.

(انتهى النص)

هذا هو النص الحضاري والإنساني الرفيع، الذي صدر عن سلطات الاحتلال في الكويت.

وهو نص لم نقرأ مثيلاً له في تاريخ كل الغزاة والفاتحين، ولا نعرف له شبيهاً في وقائع كل الحروب القديمة والحديثة.

ولا نتذكر أن هولاكو أو تيمورلنك أو جنكيز خان أو جمال باشا السفاح أو غيرهم من الطغاة المشهورين فكروا في سرقة غذاء الأطفال أو المتاجرة بجثثهم.

وربما كان الإمبراطور السيئ الذكر بوكاسا هو الديكتاتور الوحيد الذي كانت هوايته أن يذبح تلاميذ المدارس، ويخزن لحومهم في ثلاجة قصره، ويقدمها إلى ضيوفه في الولائم الرسمية.

فهل انتقل الرمز الأفريقي البشع إلينا؟ بحيث صار لدينا من له هواية تخزين الرهائن الأجانب في فنادق الكويت والتلذذ بتجويع

أطفالهم؟

وإذا كنا نفهم أن يقاتل النظام العراقي العالم كله، فإننا لا نفهم أبداً أن يقاتل أطفال العالم أيضاً، بكل براءتهم وطهارتهم وطراوة عظامهم.

لماذا نحاول دائماً أن نؤكد صورة (العربي البشع) في مخيلة الإعلام الغربي، ولماذا نعطي هذا الإعلام أخطر سلاح يمكن أن يحاربنا به، وهو سلاح المتاجرة بحليب الأطفال؟

الطفولة لها حصانتها وامتيازاتها، ولا يجوز أبداً مهما كانت الذرائع والأسباب والضرورات الإستراتيجية، أن يسقط الأطفال تحت أقدام المتحاربين.

ثم إنه لا يجوز لنا أن نعطي الإعلام العالمي ذريعة جديدة للتشهير بهمجيتنا وتخلفنا، ولا إنسانيتنا!

فاللعب بورقة الطفولة لعبة بمنتهى الحساسية والخطورة لأن الرأي العام العالمي يمكنه أن يتسامح بأي شيء، والعفو عن أية جريمة إلا جريمة تجويع الأطفال.

# سلام عليك.. يا مصر

## سلام عليك.. يا مصر

كشـفت أزمـة الخليج القناع عـن وجوه الكثير مـن الرجال والزعماء والأنظمـة في المنطقـة العربيـة، كـما كشـفت عـن صـدق الصادقـين، ونفـاق المنافقين.

ففـي حـين نجحت مـصر بامتياز في كل المـواد التحريرية والشـفهية للامتحـان، نـال البعـض صفـراً في المعلومـات، وفي الثقافـة السياسـية العامـة، وفي السـلوك.

كان بإمـكان مـصر أن تكـون مع الذئـب ضـد الحمـل، ومـع القاتل ضـد القتيـل، ومـع الرصاصـة ضد الـوردة، ومـع جنازيـر الدبابات ضد عظـام الأطفـال.. ولكنهـا بقيـت مخلصـة لتراثهـا الإنسـاني ولحضارتهـا التـي أضـاءت وجـه العـالم منذ خمسـة آلاف سـنة.

كان بإمـكان الرئيـس حسـني مبـارك أن يتملـق شريكـه في مجلـس التعـاون العـربي صـدام حسـين، ويطبطـب عـلى كتفيـه، ويهنئـه عـلى اغتصـاب الكويـت وتسـجيلها في السـجل العقـاري باسـمه.. وتحويـل الشـعب الكويتـي إلى شـعب مـن اللاجئـين.

كان بإمـكان الرئيـس حسـني مبـارك أن يلبـس ملابـس الحربـاء كـما فعل سـواه من محـترفي النضال الكاذب، ولكنه تـصرف كفارس حقيقي، فدافـع عـن الحمـل.. وطلـب من الذئـب أن يعود مـن حيث أتى.

مـصر كانـت كبـيرة بـكل شيء، كبـيرة بموقفهـا، وكبـيرة بأخلاقهـا،

وكبـيرة بمناقبيتهـا، وكبـيرة بقيمهـا العربيـة، ومُثُلهـا العليـا.

فهـي لم تنافـق، ولم تسـاوم، ولم تغـش في ورق اللعـب، ولم تجامـل الغنـي عـلى حسـاب الفقـير، ولا القـوي عـلى حسـاب الضعيـف.

مـصر لم تلعـب عـلى حبـال النزاعـات العربية، ولم تبع ولم تشـتر من خلـف الكواليـس.. ولم تنـط كبهلوانـات السـيرك بين الأبيض والأسـود.. وبـين الكـذب والصـدق، وبـين الليل والنهـار.. وبين النقيـض والنقيض.

مـصر تصرفـت برقـيّ وحضـارة، كـما تتـصرف أيـة دولـة راقيـة ومتحـضرة، ولم تلجـأ إلى الماكيافيليـة والخـداع، والتكتيكات السياسـية الرخيصـة، كـما فعـل البعـض في مؤتمر القمـة الذي انعقـد في القاهرة.

مـصر هـي مـصر التـي نعرفهـا، ونحبهـا، ونحترمهـا، فهـي –عـلى فقرهـا- لم تقبـض (كمسـيوناً) مـن أحـد ثمنـاً لتغيـير موقفهـا المبـدئي.

وهـي -برغـم متاعبهـا الاقتصاديـة- لم تقبـض مـن أيـة جهـة رشـوة لقـاء قلـب الحـق إلى باطـل، والباطـل إلى حـق.

وهـي –برغـم اسـتبعادها ذات يـوم مـن العائلـة- أثبتـت أنهـا أكـثر انتـماء للعـرب مـن مدّعـي العروبـة، وأكـثر حرصاً عـلى مصالـح العائلة العربيـة، مـن كثير من المتشـدقين والمزايدين والمتحدثين باسـم العروبة.

إن الأصيـل يبقـى أصيلاً، والهجـين يبقى هجيناً، كـما أن الكبير يبقى كبيراً، والصعلوك السـياسي يبقـى دائماً صعلوكاً.

وربمـا كان مـن حسـنات أزمـة الخليـج –إذا كان لهـا مـن حسـنات- أنهـا كشـفت عـورات هـؤلاء المهرجـين والنصابـين والانتهازيـين، الذين يبيعـون شرفهـم القومـي بعـشرة دنانـير عراقيـة.. ويبيعـون العـرب كلهـم بقـشرة بصلة.

# نعم.. كويتيون
# حتى نخاعنا

## نعم.. كويتيون حتى نخاعنا

لم يعـد إخضـاع الشـعوب بقـوة الآلة الحربيـة أمراً سـهلاً في بدايات القرن الواحـد والعشرين.

فالشـعوب، حيثـما كانـت، ومهـما كانـت صغـيرة، وقليلـة العـدد، اكتسـبت مناعـة روحيـة تجعلهـا قـادرة عـلى الدفـاع عن نفسـها أمام أي محاولـة لاقتحامهـا أو لاحتـلال إرادتهـا.

والنموذج الكويتي في المقاومة الشـعبية، يدعو إلى التأمل والإعجاب لأنـه نمـوذج الشـعب الصابر، الأصيـل، الأخلاقي، الذي رفـض أن يكون لقمة بين أسـنان الحـوت الكبير.

ولـو أن كل الحيتـان الضخمـة، تفكر أن الأسـماك الصغـيرة لها الحق بـأن تعيـش وتتوالـد، وتشـكل مجتمعـات ديمقراطيـة حـرة، لعـاش البحـر في طمأنينـة وسـلام.

ولقـد أثبتـت التجربـة المأسـاوية التـي تعـرض لهـا الوطـن الكويتي الصغـير أخـيراً، أن سـمكة «الزبيـدي»، الرقيقـة، اللطيفـة، المسـالمة، تسـتطيع أن تقطـع حبـال صياديهـا، وأن تقلـب مراكبهـم وسـفنهم الحربيـة.

إن السـمك الصغـير لا يمـوت بسـهولة، وهـو قـادر دائمـاً عـلى الدفاع عـن وجـوده عندمـا يرتفع المـوج، وتنفجـر العاصفة.

كل الأسـماك الكويتيـة، داخـل الوطـن وخارجـه، انضمـت إلى حركة

المقاومة، فلم يتخلف النساء، والأطفال، والمرضى، عن الالتحاق بالمسيرات العفوية والغاضبة التي انفجرت في كل عاصمة من عواصم الدنيا.

كان الالتحام مدهشاً بين أعضاء الأسرة الكويتية، وكان الغضب ساطعاً، بحيث لم يستطع العدوان أن يجد في الجسد الكويتي ثغرة واحدة يستطيع أن يتسلل منها.

طبعاً.. إن الشعب الكويتي له أيضاً كسائر الشعوب، مشكلاته وقضاياه الداخلية، ولكنه في اللحظات التي يتعرض فيها مصير الكويت كوطن، وأمة، وتراث، وتاريخ، إلى الخطر.. فإن كل الخلافات الداخلية توضع على الرف.

كل قضايا العائلة الكويتية مؤجلة.. في الوقت الحاضر، ولا يوجد على جدول أعمالنا في هذه الأيام سوى بند وحيد وواحد: «ارفعوا أيديكم عن الكويت».

# عندما
# تشهر الدبابة إسلامها

## عندما تشهر الدبابة إسلامها

«في اليوم الثاني من أغسطس (آب)، انفتح باب السماء، بإذن الله أمام العراق، وويل لمن تنفتح له أبواب السماء، ويتأخر عن فرصته فيها، وويل لنا من عذاب الله إن تأخرنا عن واجباتنا تجاهه..».

**مجلس قيادة الثورة**

**بغداد في السابع عشر من محرم 1411هـ**

**الموافق الثامن من أغسطس (آب) 1990م**

إن الذي يقرأ هذا النص الصادر عن مجلس قيادة الثورة في العراق، إثر اجتياح القوات العراقية المسلحة لدولة الكويت، يتصور أنه أمام نص للإمام الشافعي، أو للإمام أبي حنيفة، أو لواحد من أئمة المتصوفة كجلال الدين ابن الرومي، أو محي الدين بن عربي، أو لشيخ الجامع الأزهر.

ولكنه حين يرى توقيع مجلس قيادة الثورة العراقي تحته، لا يستطيع أن يمنع نفسه من الضحك، والقهقهة بصوت عال.

هل يمكن أن يتحول مجلس قيادة الثورة العراقي، بين يوم وليلة، إلى «ملالي» وأئمة مساجد وشيوخ طريقة ومتصوفة؟

ثم هل يمكن أن يتحول النظام العراقي، من نظام علماني لا يؤمن بالسماء، ولا بتعاليم السماء، إلى نظام معمم وملتحٍ، ويؤدي الصلوات الخمس، ويصوم رمضان، ويحج إلى بيت الله، ويأمر

بالمعـروف، وينهـى عـن المنكـر؟!

وإذا كان النظـام العراقـي، على هـذه الدرجة من التنسّـك والتدين، والتمسـك بشـعائر الديـن الإسـلامي الحنيـف، فلـماذا قاتـل النـاس في إيـران ثمـاني سـنوات كاملـة، وقتـل منهـم نصـف مليـون، دون أن يسـتغفر اللـه ويشـعر بالندامـة؟

وإذا كان النظـام العراقـي يخـاف اللـه ويسـعى لمرضاتـه، فلـماذا يقتـل النفـس التـي حـرم اللـه قتلهـا؟ ولمـاذا يمـارس جنـوده أعـمال السـبي والنهـب واغتصـاب مضيفـات الطـيران في وضـح النهـار؟

وإذا كان النظـام العراقـي يؤمـن باللـه والرسـول واليـوم الآخـر.. ولا يـأكل الـدم والميتـة ولحم الخنزيـر.. فلـماذا أكل السـاعات والثلاجات والتلفزيونـات والسـيارات.. وفتك بالأخضر واليابـس كما تفتك الزلازل بالمـدن الجميلة؟

هـل يمكـن أن يغـير نظـام من الأنظمـة جلده بمثـل هذه السـهولة، فيتحـول مـن كارل ماركـس إلى أبي ذر الغفاري؟

وهـل يتصـور النظـام العراقـي أن أحداً يصدق (دروشـته) وتنسـكه وتقواه؟

هل يتصور أننا سوف ننخدع بجبّته ومسبحته ولحيته الطويلة؟

إننـا نعـرف أن النظـام العراقـي أصبـح محـاصراً في الزاويـة.. لذلـك فهـو يخـرج المناديـل الملونـة مـن قبعتـه.

مرة يخرج منديل العروبة..

ومرة يخرج منديل الإسلام..

ومرة يخرج منديل الأماكن المقدسة..

ومرة يخرج منديل الأسلحة الكيميائية..

ومرة يخرج منديل الرهائن.

ولكـن العـالم -كـما يبـدو- لم يعـد يؤمـن بالحـواة ولا بالمناديـل الملونـة، فهـو يعـرف أن كل مـا يطرحـه النظـام العراقـي ليـس سـوى إشـارات الاسـتغاثة الأخـيرة قبـل غـرق السـفينة.

طبعـاً.. نحـن لا نريـد كعرب لسـفينة العـراق أن تغـرق، وهي التي كنـا نطمح أن توصلنا إلى شـاطئ السـلامة.

ولكـن النظـام بـكل عنـاده هـو الـذي فتـح عـشرات الثقـوب في خـاصرة السـفينة، حتـى أوشـكت أن تغـرق.. وتغرقنـا معهـا.

إن اللعـب بورقـة الديـن هـو نـوع مـن أنـواع التكتيـك والمراوغـة السياسـية، وليـس عمـلاً مـن أعـمال الديـن والـورع.

فالفظائـع التـي ارتكبهـا الجيـش العراقـي -المظفّـر- عـلى أرض الكويـت تتنـافى مع تعاليـم الإسـلام وجميـع الأديـان السـماوية.

لذلـك، فـإن المطلـوب مـن الجماهـير الطيبـة في الشـارع العـربي، ألا تندفـع وراء الشـعارات الدينيـة البراقـة التي يطرحها النظـام العراقي، فهـي ليسـت أكثر مـن بضاعة مغشوشـة وفاسـدة.

إن المسـدس لا يمكـن أن يشـهر إسـلامه.. والدبابـة لـن يُسـمح لهـا أبـداً بدخـول الجنـة..



# بابا صدام
# وأطفال الإنجليز

## بابا صدام وأطفال الإنجليز

هـذا الخـراب الكبـير الـذي أحدثـه الرئيـس صـدام حسـين في بنيـة التاريـخ العـربي خـلال شـهر واحـد، كيـف يمكن ترميمـه، ومـا الوقت الـذي يتطلبـه هـذا الترميم؟

خـراب هائـل ضرب كل قطاعـات حياتنـا، سياسـياً، واجتماعيـاً، واقتصاديـاً، وثقافيـاً، ونفسـياً، وأرجعنـا ألـف عـام إلى الـوراء.

شـخص واحـد.. خطـر لــه أن يقامـر بـكل مـا في الوطن العـربي من شـجر، وبـشر، وتاريـخ، وتقاليـد، وتـراث، وأطفـال، ونسـاء، وتلاميـذ مـدارس، وجامعـات، ومكتبـات، ورجـال أعـمال، وأُجَـراء، وأغنيـاء، وشـحاذين.

شـخص واحـد.. أحـرق وجه الوطـن بالأسـيد، وجلس أمـام كاميرات التلفزيـون بكامـل أناقتـه، ومواهبـه.. ليطبطـب عـلى أكتـاف الأطفال الإنجليـز.. ويسـألهم بأبـّوة مصطنعة، إذا كانوا «متونسـين» في بغداد.. وإذا كانـوا قـد نامـوا جيداً.. وشربوا كـوب الحليب اليومـي.. أي أبوة؟ أي نـوم؟ أي حليـب؟ يا سـيادة الرئيس.

وإذا كان بالـك مشـغولاً عـلى الأطفال الإنجليز.. فلماذا لم تسـأل عن الأطفـال الكويتيـين الذيـن طردتَهـم من بيوتهـم ومدارسـهم، ورميتهم على قارعـة الطريق؟

ولمـاذا لم تسـأل عـن الأطفـال المصريـين الذيـن مـات نصفهم عطشـاً

وجوعاً وتعباً، وهم يخترقون الصحراء إلى الحدود الأردنية؟

كيف يمكن أن تكون الأبوة (إنجليزية) أو (دانماركية) أو (نمساوية).. ولا تكون أبوة (كويتية) أو (مصرية).. وأنت الذي تدّعي أنك أبو العرب وملكهم، وإمبراطورهم، وحامي حماهم.. من المحيط إلى الخليج؟

شخص واحد تسبب بكل هذا الخراب دون أن يقرأ الفاتحة، أو يسمّي بالرحمن، أو يستفتي قلبه، أو يستفتي شعبه.

وإذا كان الخراب الاقتصادي الذي أجهض كل مشاريع التنمية، والاستثمار والتعمير في الوطن العربي، وهز دعائم الدخل القومي، وحوّل الثروة العربية في أيام معدودات إلى رماد.

أقول: إذا كان الخراب الذي حل بالاقتصاد العربي مخيفاً، فإن الخراب النفسي الذي لحق بالنفس العربية أشد وأدهى.

وإذا كان الخراب الاقتصادي قابلاً للترميم، فمن يرمم النفس العربية مما أصابها من رضوض وكسور وخيبات أمل؟

إن ما يشغل بالي حقاً في أزمة الخليج، ليس الخسائر المادية التي أصابت المنطقة، فكل الأزمات المادية يمكن تجاوزها مع الزمن، ولكن ما يشغل بالي هو هذا الزلزال الروحي الرهيب الذي هز نفوس أطفالنا واغتال أحلامهم الجميلة بالوحدة الكبرى.

لقد أعطى النظام العراقي للأجيال العربية الجديدة درساً مرعباً في الوحدة، حين استيقظ الأطفال في فجر 2 أغسطس (آب) ليجدوا أن الدبابات هرست عظامهم، وأوراقهم، وأقلامهم، وأحلامهم الوحدوية التي تعلموها في الكتب المدرسية.

كيف نعتذر لهؤلاء الأطفال، حين يكتشفون أن الوحدة العربية

التـي بشرناهـم بهـا قـد حولتهـم إلى مشرديـن ولاجئـين ويتامـى، وأن الاسـتعمار العـربي، لا يقـل شراسـة وهمجيـة عـن الاسـتعمار الغـربي؟

ومـاذا نقـول للأطفـال الذيـن علمناهم منـذ ولادتهـم أن العرب أمة واحـدة وعائلـة واحـدة، وكيان واحـد، وأن الوحدة هـي قدرهم الأول والأخـير.. عندمـا يكتشـفون أننا كنا نكـذب عليهم؟

الخطـير في الأمـر أن الدبابـات العراقيـة لم تحفـر طريقها في شـوارع الكويـت فقـط، ولكـن جنازيرهـا حفـرت طريقهـا في نفـوس الأطفـال الكويتيـين، وفي عقولهـم، وفي مخيلتهـم.

فالأطفـال الكويتيـون الذيـن كانـوا يصفقـون للرئيـس صدام حسـين عندمـا كانـوا يرونـه على شاشـة التلفزيـون، يداعب الأطفـال، ويتودد إلى الجنـود، ويـواسي أبنـاء الشـهداء، لم يصدقـوا أن بطلهـم المغـوار يمكـن أن يدخـل عليهـم وهـم نائمـون في فُرُشـهم، ويجردهـم مـن ثيابهـم، وألعابهـم، وضحكاتهـم، وحصالات نقودهم. وساندويشـاتهم.



# وطن مسروق

## وطن مسروق*

عن الكويت، وطننا المسروق، سأتحدث إليكم..

سرقات كثيرة تحدث أمام سمع التاريخ وأمام بصره.

بعض هذه السرقات يموت مع مرور الزمن، ويحفظ في خزائن النسيان.

وبعض هذه السرقات يبقى حياً وساخناً ومطروحاً أمام القضاء لأن أصحاب الحق يصرون على استعادة أشيائهم المسروقة.. وأوطانهم المسروقة.

والكويت هي وطن مسروق.. سيادته مسروقة، وأرضه مسروقة، وبحاره مسروقة، وثروته مسروقة، وكرامته مسروقة، ومواطنوه مسروقون من ديرتهم، ومن أسمائهم، ومن هويتهم.. هذا هو الواقع العسكري.

أما الواقع النفسي فشيء مختلف تماماً، لأن الكويتيين على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم واتجاهاتهم وأفكارهم، يرفضون مبدأ السرقة جملة وتفصيلاً.. ويتمسكون برقبة السارق وثيابه، حتى يستعيدوا كل ذرة تراب من وطنهم المسروق.

ولعلكم تعرفون، من الصحف ووكالات الأنباء، أن الذي سطا على الكويت في فجر الثاني من أغسطس (آب)، أصبح محاصراً سياسياً

---

* ألقيت في مؤتمر الاتحاد العام للطلبة الكويتيين - واشنطن ١٩٩٠/٩/١

وعسـكرياً واقتصادياً ودبلوماسـياً في كل مـكان، وأن الـرأي العـام العالمـي معبـأ تعبئـة شـاملة ضـده، ويطالبه بالانسـحاب الفـوري من الكويـت، وإعـادة السـلطة إلى أصحابهـا الشرعيـين.

ورغـم هـذا الحشـد الهائل مـن الأسـاطيل البحرية، فإننـي لا أعتمد إلا عـلى الكويتيـين في صلابتهم وثباتهـم، وطريقهم هو طريق المقاومة الذاتية.

وهـو طريـق عرفتـه جميع الشـعوب خـلال التاريـخ لتحريـر أرضها مـن التبعيـة، والقهر والاسـتعمار.

هـذا هـو الطريـق الوحيـد الواحـد، الـذي لا بـد لنـا أن نقطعـه لاسـتعادة بلادنـا المسروقـة، واسـترجاع مفاتيـح البيـت الكويتـي.

يجـب عـلى الكويتـي مـن الآن فصاعـداً، أن ينظـم قـواه الذاتيـة، ويجنـد نفسـه للدخـول في مقاومة طويلـة.. مع الوجـود العراقي بكل أشـكاله وممارسـاته وآلتـه الحربية.

وعـلى الكويتـي أن يعرف أن زمان الكسـل والرفاه وارتشـاف كؤوس الشـاي والقهوة المـرّة قد ولّى.

لا بـد للكويتـي مـن الخـروج مـن مرحلة الاسـترخاء والقيلولـة، فقد دخـل السـيف في خـاصرة الكويتيـين، دون أن يتوقعـوه أو يحسـبوا حسـابه أو يسـتعدوا لـه.

وأمـام هـذا الواقـع التراجيـدي الجديـد، لا بـد للكويتـي مـن تغيـير عاداتـه القديمـة، لا بـد للكويتـي مـن أن يعيـد النظـر في نفسـه، وفي فكـره، وفي سـلوكه، كما لا بـد أن يفهم أحوال الكون، وأسرار السياسـة ولعبـة الأمم.

فبعـد الغـزو العراقـي، لم يبـق أمام الكويتيين سـوى خيـار واحد.. لا

ثـاني له، وهـو المقاومة واتبـاع سياسـة الأرض المحروقة.

كل كويتـي يسـتطيع أن يقـاوم مـن موقعـه؛ فالجنـدي مـن موقعه العسـكري، ورجـل الاقتصـاد مـن موقعـه الاقتصـادي، والأديـب مـن موقعـه الأدبي، وطالـب الجامعـة مـن موقعـه الجامعـي، والمـرأة الكويتيـة مـن موقعهـا الاجتماعـي والتربـوي.

المعركـة مفتوحـة أمامنـا جميعـاً، ولا عـذر لأحـد إذا تخلـف عـن المعركـة، لأنـه سـيعتبر هاربـاً مـن الجنديـة.

لا يـزال الجـرح طازجـاً، ولا يـزال الاحتـلال هشـاً، وقابـلاً للكسر، ولا يـزال العـالم يتعاطـف معنـا.. فعلينا أن نبقـى مسـتنفرين، ومجندين، ومزروعـين عـلى الخطـوط الأولى ليـلاً ونهاراً.

المهـم أن نبقـى دائماً وراء قضيتنا، حتـى لا تتحول إلى قضية تاريخية مزمنـة، كعشرات القضايا الأخرى التي نسـيها العالم.

إن المسـألة بالنسـبة للكويتيـين هـي أن يكونـوا أو لا يكونـوا، كـما يقـول شكسـبير.

ولقد اخترنا أن نكون.. أن نكون.. أن نكون.. أن نكون.. بإذن الله.

# يوميات امرأة كويتية
# في المنفى..

# يوميات امرأة كويتية في المنفى

-1-

أكتب إليكم هذه الرسالة من (الشتات)..

و(الشتات) كلمة جديدة جداً علينا نحن الكويتيين.

فلقد كان لنا قبل 2 أغسطس (آب) 1990 وطن صغير، رقيق، مسالم، ينام كالوردة على شاطئ الخليج..

ولكن جاراً هجم علينا تحت جنح الظلام بدباباته، ومدرعاته، وعساكره، واحتل البيت الذي كان ينام كالوردة على شاطئ الخليج.. وسرق خواتمنا، وأساورنا، ودراهمنا، وفرحنا وضحكات أطفالنا.. وجعلنا كلاجئي القوارب الفيتناميين ترفضنا المرافئ..

-2-

نحـن –لاجئـي القـوارب الكويتيـين- كان لنـا قبل 2 أغسـطس (آب) 1990 رقعـة صغـيرة مـن الأرض، كان أجدادنـا يعيشـون عليهـا مـن مئـات السـنين، يصارعـون المجهـول، ويقاتلـون أمـواج البحـر، وسـمك القـرش، وظـلام الأعـماق، بحثـاً عـن حبة لؤلؤ صغـيرة يشـترون بثمنها خبـزاً لأولادهـم وثياباً لنسـائهم.

ولكـنّ أخـاً يسـكن في جوارنـا، هجـم علينـا قبـل طلـوع الفجـر.. وصـادر قواربنـا، وشـباكنا، وسرق حبـات اللؤلـؤ التي جمعناهـا بعرقنا ودموعنـا.

-3-

(الشتات).. كلمة فظيعة جداً..

كلمة لم نكن نعرفها من قبل..

ولا نعرف كيف تلفظ.. ولا نعرف كيف تُكتب..

ولكـنّ جارنـا العزيـز -أكـثر اللـه مكرماته، ونـصره في فتوحاتـه، وزاد في عـدد صواريخـه ودباباتـه- أدخلها إلى القامـوس العربي، بحيث صار الشـتات الكويتي واقعاً بعد الشـتات الفلسـطيني.. والشتات اللبناني..

وكل قائـد مظفـر، ونحـن مشـتتون ومنفيـون ولاجئـون فـوق كل كوكـب..

-4-

ما هو الشتات؟..

الشـتات هـو أن تسـتيقظ ذات يـوم فتجـد نفسـك مقذوفاً خـارج سريـرك، وخـارج جسـدك، وخـارج دورتـك الدمويـة.

الشـتات هـو أن تسـتيقظ ذات يـوم فتجـد نفسـك مقتلعـاً مـن جـذورك، وممحـواً مـن دفاتـر الزمـان والمـكان.

الشـتات هـو أن تسـتيقظ ذات يـوم فتجـد نفسـك ممنوعـاً مـن الدخـول إلى بلـدك، وممنوعـاً مـن الدخـول إلى لغتـك.. وممنوعـاً مـن الدخـول إلى داخلـك.

الشـتات هـو أن يسرقـوا منـك مفاتيـح الوطـن.. ويتركـوك نزيـلاً في فنـدق الحزن.

-5-

الشتات كلمة قاسية.. ودامية.. ولها طعم الحنظل..

والذيـن سـبقونا إلى الشـتات مـن أرمن وآشـوريين، وتركـمان وأكراد، وهنـود حمر، وروس بيض، وألبانيين، وفيتناميين، وكمبوديين، وكوريين، وأريتريـين، وسريلانكيـين، وفلسـطينيين، ولبنانيـين.. يسـتطيعون أن يشرحـوا للكويتيـين كيف يمكنهـم أن يتأقلموا مع هذا المـوت اليومي، الـذي يسـمونه المنفى.

-6-

لماذا غزانا الجار العزيز؟

لأن الكويت هي زائدة دودية على الخريطة..

لذلك أخذ المقص من جارور مكتبه، وقطعها..

لم يستعمل المخدر ولا القطن، ولا السبيرتو، ولا الضمادات الطبية..

وإنما فتح بطن الأمة العربية بالبلطة، وتركها تنزف.

إنها أول عملية جراحية من نوعها في التاريخ، يقوم بها حلاق مضطرب، لا يحمل شهادة في الجراحة، ولا شهادة في الحلاقة..

فإذا كانت الوحدة العربية العتيدة سوف تتم على يد الحلاقين.. فما أجمل الانفصال!

-7-

دبابات النظام العراقي التي اجتاحت بلادي..

لم تطحن جسد الكويت فحسب..

وإنما طحنت جسد كل مشاريع الوحدة العربية..

لألف سنة قادمة..

-8-

إذا كان النظام العراقي يريد أن يسرق المحفظة فقط..

فألف مبروك عليه..

ولكن لماذا يربط سرقة المحفظة بأيديولوجية الوطن العربي الكبير..

إن السرقة هي المهنة الوحيدة التي ليس لها أيديولوجيا.

-9-

سيارات المرسيدس 500 الكويتية الأرقام، التي تملأ شوارع بغداد.. وضعت بطاقة على قبر الأستاذ ميشيل عفلق، كتبت عليها العبارة التالية:

«أمة عربية واحدة.. تركب سيارات مرسيدس واحدة»!

-10-

ينتقـل النظـام العراقـي بـين (القادسـيات) كأنـه يركـب عـلى موتوسـيكل..

فمن قادسية (كردستان)..

إلى قادسية (إيران)..

إلى قادسية حقول النفط في (الرميلة) و(الأحمدي)..

ولكـن أين قادسـية (إسرائيـل) التي وعدنـا بها النظـام العراقي قبل أن يـأكل الكويت؟

كنا ننتظر منه أن يحرق (نصف) إسرائيل.

فإذا به يحرق (كل) الكويت..

فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون..

# من أوراق
# المقاومة الكويتية

## من أوراق المقاومة الكويتية

-1-

صار عمر المقاومة الكويتية شهراً وبضعة أيام..

أي أنها لا تزال طازجة، ويافعة، وطرية العود..

ومع هذا فهي تضرب بقوة..

تضرب في الليل، وتضرب في النهار..

وتضرب فوق الأرض، وتضرب تحت الأرض..

وتضرب بقضبان النوافذ، وتضرب بسكاكين المطبخ..

وإذا اضطـرت فسـوف تـضرب ببيبرونـات الأطفـال، وحقائب تلاميذ المدارس.

-2-

الذيـن يقولـون إن الحـوت العراقـي، ابتلـع الكويت، وانتهـى الأمر..
لا يعرفـون شـيئاً عـن حركـة البحـر، ولا عن حركـة التاريخ..
فالكويتيون أساساً من سلالات بحرية..
وهم يعرفون جيداً أحجام الحيتان، وعدد أسنانها، وطرق صيدها.
عندمـا تشـبع الحيتـان، يصبـح بإمكان أية سـمكة انتحاريـة صغيرة، أن تلتصـق بهـا، وتفجرهـا بكل غطرسـتها وجبروتها.

-3-

لا تخافوا علينا..
فنحن –الكويتيين- ولدنا من زبد البحر..
والصراع مع أسماك القرش، بعض هواياتنا.

-4-

لا تخافوا علينا..
فالأسـماك الصغـيرة تتناسـل بسرعة، وتتكاثـر بسرعـة، وتتجمع أمام العاصفـة بسرعة.
أمـا الحيتـان الكبـيرة، فإنهـا تحمـل شـيخوختها وموتهـا، في أمعائهـا الغليظة.

-5-

الذيـن يقولـون إن المقاومـة الكويتيـة لـن تسـتطيع أن تجابـه 150 ألـف جنـدي عراقـي مسـلحين حتـى أسـنانهم، نقـول لهم:

إن العصفور يدافع عن عشه..

والنحلة تدافع عن خليتها..

والنملة تدافع عن مسكنها..

والحصان يدافع عن أنثاه..

والدّيك يدافع عن دجاجاته..

فلـماذا لا يتعلـم الكويتـي مـن النمـل، والنحـل، كيـف يدافـع عـن بيتـه، ورزقـه، وعيالـه؟

أما قضية القلة والكثرة، فلا تلعب دوراً كبيراً في حرب العصابات:

«تعيرنا أنّا قليل عديدنا　　　　فقلت لها: إن الكرام قليل».

-6-

ليس أمام الكويتيين سوى المقاومة..

فالحـوار مـع الحيتـان، كالحـوار مـع الطرشـان، عبـث، وسراب، ومضيعـة للوقـت.

-7-

قد نكون مبتدئين في علم المقاومة..

ولكـن العلـوم مهـما كانـت صعبـة، فإنهـا لا بـد أن تعطـي أسرارهـا للذيـن يدرسـون جيـداً، ويذاكـرون جيـداً، ويعرفـون ربهـم ووطنهـم جيداً.

قد نكون في مرحلة طفولتنا الثورية..

ولكننـا مـع الوقـت سـنكبر، وننضـج، وتزيـد معرفتنـا القتاليـة، وسـنتخرج في جامعـة المقاومـة بدرجـة جيـدة جيـداً.

-8-

كان الكويتـي، قبـل الاجتياح، يفلسـف الأشـياء ببسـاطة وشـاعرية، ويقـول -كـما كان يقـول اللبنانيـون في عصرهـم الذهبـي-: إن قـوة الكويـت في ضعفهـا..

كلام فارغ.. فارغ.. فارغ..

بعـد أن دخـل الخنجـر في خاصرتنـا، صـار الكويتـي يؤمن، كنيتشـه، بفلسـفة جديـدة تقـول: إن قـوة الكويت هـي في أظفارهـا.. وأنيابها.. وقـوة عضلاتهـا.. وممارسـتها (لعبـة الكاراتيـه)، في السـلم والحرب..

-9-

زمان (الوصل في الأندلس) أدى إلى سقوط الأندلس..
وزمان الدلال والاسترخاء في الكويت، أدى إلى سقوط الكويت..
وأرجو ألا تجرحكم تشبيهاتي الجارحة..
فإنني، ككاتبة كويتية، لا بد أن أبصق الحصاة.

-10-

عندما سيتحرر تراب الكويت من الغزاة.. ونرجع إلى منازلنا بإذن الله، سيكون على رأس أولوياتنا:

1- ممارسة النقد الذاتي، وفتح ملفات حسناتنا وسيئاتنا، وإعادة تقييم أنفسنا بشكل علمي وموضوعي.
2- أن نرفع أسوار الكويت عالياً عالياً.. حتى لا يستوطي العالم حائطنا.. فندعو إلى الخدمة الإجبارية، ونشكل جيشاً شعبياً، ونشتري (الكيميائي المزدوج).. إذا لزم الأمر.. بعد أن ثبت لنا أن الكيميائي المزدوج.. أحرقنا نحن، ولم يحرق إسرائيل..
3- يجب ألا نتخلى عن منهجنا الديمقراطي، بل على العكس، علينا أن نزيد شجرة الديمقراطية ارتفاعاً واخضراراً، وأن نتيح لكل مواطن كويتي أو عربي أن يكون شريكاً في الرأي، وشريكاً في الحوار، وشريكاً في الحكم.. فالديمقراطية هي مصدر قوتنا

وبقائنا.

4- أن نتعامل مع الأقوياء بقوة، ومع الغرباء بحذر، ومع الأصدقاء بواقعية، لأن الرومانسية الكويتية أثبتت فشلها.

5- أن نغير سياستنا الإعلامية، بسياسة أكثر ديناميكية، بعد أن ثبت ذلك من خلال تجربتنا المأساوية.

مرة ثانية.. أرجو ألا تتضايقوا من قسوة كلماتي.. فإنني ككاتبة كويتية لا أستطيع أن أكتب بنصف أصابعي.

# كشف حساب صغير
# للاغتصاب الكبير

## كشف حساب صغير للاغتصاب الكبير

بجـرة قلـم، محـا النظـام العراقي نصف قضايـا المنطقـة، إن لم يكن محاهـا جميعاً.

1- القضية الفلسطينية، أسقطها بالضربة القاضية.
2- الوحـدة العربيـة الكـبرى، أعطتكـم عمرهـا.. وتقبـل التعـازي في القـصر الجمهـوري في بغـداد.
3- سمعة العرب أمام الرأي العام العالمي.. صارت زفتاً وقطراناً.
4- منابـع النفـط.. صـارت في قبضـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة.. وطوبتهـا في السـجلات العقاريـة.
5- الاقتصـاد العراقـي، رجـع إلى نقطـة الصفـر.. والـثروة العربيـة، أكلـت النـار نصفهـا.
6- التضامـن العـربي أصيـب بذبحـة قلبيـة.. نقلـوه عـلى إثرهـا إلى غرفـة العنايـة الفائقـة..
7- جامعـة الدول العربية أشـهرت إفلاسـها.. وبدأت تبيـع طاولاتها.. وكراسـيها.. وملفاتهـا.. في المزاد العلني.
8- الشـارع العـربي مـضروب عـلى دماغه.. فهـو لا يعرف بـأي اتجاه

يمشي.. وباسم من يهتف.. ومن هو بطل الرواية، ومن هو مخرجها ومن هو ممولها.

9- الأجيال العربية (الصاعدة).. أصبحت أجيالاً هابطة، مسحوقة، ضائعة، مشمئزة، قرفانة، كافرة بكل ما تسمعه.. وما تقرؤه.. عن مروءات العرب، وشهامتهم، وعدالتهم، ودفاعهم عن حقوق الجار، وماله، وعرضه.

10- الثقافة العربية.. تحولت إلى (سوبر ماركت) كبير، يباع فيه المسيح بثلاثين من الفضة.. والمبادئ الثورية بنسبة مئوية من واردات النفط الكويتية.. ويباع فيه كارل ماركس بكيلو سمك (مسقوف) ويباع فيه الكلاشينكوف مع الكوفية والعقال لقاء وعد بتحويل دولة الكويت.. إلى (وطن موعود) لأبي عمار.

11- انقسمت اللغة العربية إلى اثنتين وعشرين لغة.. لكل لغة منها مفرداتها، وأسماؤها وإعرابها.

●●●

الله.. ما أفظع وما أبشع ما شاهدناه على خشبة المسرح العربي خلال شهر واحد..

بعض الثوار تحولوا إلى بائعين متجولين..

وبعض الأحرار أطلقوا الرصاص على الحرية..

وبعض القوميين العرب، أثبتوا أنهم غير قوميين.. وغير عرب..

وبعض فلاسفة الثورة.. امتطوا الدبابات، ودخلوا الكويت في ركاب النظام العراقي.. ظناً منهم أنها تل أبيب.

●●●

مشاهد.. تراجيكوميدية.. مرت أمامنا، حتى خيل لي أننا في سيرك متجول.. أو أننا نشاهد عرضاً من عروض أراجوز..

أقنعة شمعية..

ومواقف زئبقية..

وبطولات وهمية..

ومقالات صحافية مدفوعة الأجر..

وأيديولوجيات.. بلا أيديولوجيا..

ومتدينون.. بلا ديانة..

ومناضلون ربطوا قضيتهم بحنفية النفط التي سيفتحها النظام العراقي لهم.. بعد استيلائه على حقل الرميلة.

# ثقافة التهريج
# على مسرح الخليج

# ثقافة التهريج على مسرح الخليج

أود أن أعقب هنا على مقالة أستاذنا الكبير الدكتور حسن الإبراهيم، التي كشف فيها أوراق بعض المفكرين العرب، ومواقفهم الجبانة والهروبية من أحداث الخليج، وطالبهم فيها بالانتحار، لأنهم خانوا رسالتهم الفكرية، وتخلوا عن شرف الكتابة ومناقبيتها.

والواقع أن الدكتور حسن الإبراهيم وضع يده على الجرح الذي ينزف في أعماقنا جميعاً كمثقفين ملتزمين بقضايا أمتنا وقضايا الإنسان، فأمام الخراب المخيف الذي تركه الغزو العراقي لدولة الكويت، على الخارطة السياسية والقومية والاقتصادية والتنموية والاجتماعية والنفسية، للعالم العربي.. لا بد للمرء أن يتساءل: أين هم المثقفون العرب من هذا الزلزال العنيف الذي عصف بالحياة العربية، وقلبها رأساً على عقب؟

أين المنظرون والأيديولوجيون والمثاليون، الذين طالما أمطرونا بآلاف المحاضرات عن الحرية والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان؟

أين هؤلاء الذين كانوا يتباكون على مأساة الإنسان في نيكاراغوا وباناما وجنوب أفريقيا وجزر الفوكلاند وجزر الواق واق؟

أيـن هـؤلاء مـن مذبحـة العـصر التـي تعرضـت لهـا دولـة خليجيـة صغـيرة اسـمها الكويـت في اليـوم الثـاني مـن أغسـطس (آب) 1990؟

أيـن المناضلـون الأشـاوس الذيـن (فلقونـا) بمواعظهـم الميتافيزيقيـة والماكيافيليـة خـلال أربعـين عامـاً، ودخلـوا عـشرات المعـارك الدونكيشـوتية دون أن تنـزف قطـرة دم واحـدة منهـم.. أو تتكرمـش قمصانهـم المنشّـاة وبدلاتهـم المكويـة؟

أيـن هـؤلاء التقدميـون الذيـن كانـوا يضعـون فـوق مكاتبهـم.. صـور هـوشي منـه وتـشي غيفـارا وماوتـسي تونـغ ونلسـون مانديـلا.. ولا يعرفـون عـن شـهيد كويتـي، سـقط وهـو يـرد الطغـاة عن أسـوار مدينتـه؟

فهـل دم تـشي غيفـارا، عنـد بعـض مثقفينـا، أكـثر نقـاء مـن دم الشـهداء الكويتيـين الذيـن سـقطوا تحت جنازيـر الدبابـات العراقية؟

إننـي لا أفهـم كيـف يمكـن لمثقـف عـربي ملتـزم أن يلبـس في كل مناسـبة قناعـاً، ويرقـص في كل عـرس رقصـة، فيكـون أفريقيـاً يـوم الخميـس، وآسـيوياً يـوم الجمعـة، وأمريكيـاً لاتينيـاً يـوم السـبت.. ويسـارياً يـوم الأحـد.. وماركسـياً في عطلـة نهايـة الأسـبوع، ولكنـه لا يكـون عربيـاً أو مسـلماً إلا في عيـد الأضحـى وعيـد الفطـر!

وباستثناء بعض المثقفين الشجعان والشرفاء، الذين لم يغيروا وجوههم ولا أصواتهـم ولا مواقفهـم المبدئيـة، فـإن الباقـي من المثقفـين العرب

جلسـوا في شرفـة المتفرجـين في لعبـة (الكوريـدا) الخليجيـة، وقلوبهـم مـع الثـور العراقـي الهائـج، لا مـع المصـارع الكويتـي النحيـل الرقيق.

بعـض المثقفـين العـرب راهنـوا عـلى الثـور لا عـلى الإنسـان، وفكروا بحسـاب الأربـاح والخسـائر، وكانوا باطنيـين وازدواجيين وتجـار ثقافة لا مثقفين.

المثقفون الذين أقصدهم ناقشوا كل الأمور على الشكل التالي:

إذا ربـح النظـام العراقـي أطعمنـا المنّ والسـلوى.. وأنزلنـا في فنادق بغـداد.. وأهـدى كل واحد منا سـيارة.

وإذا عـاد الكويتيـون إلى الكويـت فسـوف يعفون عـن خطايانا، لأن قلوبهـم الكبيرة لا تتسـع للحقـد والضغينة.

هـذا هـو منطـق (السـوبر ماركـت) الـذي لجأ إليـه بعـض المثقفين العـرب، وهـو منطـق لا يختلـف أبـداً عـن منطـق سـماسرة البورصـة، والباعـة المتجولين.

إن الثقافـة بمعناهـا الشـمولي هـي موقـف مـن الإنسـان في صراعـه مـن أجـل الحـق، والعـدل والحرية.

أي أن الثقافـة لا يمكـن أن تتحالـف مـع الـشر ضـد الخـير، ومـع العتمـة ضـد النـور، ومـع الخنجـر ضـد الجـرح، ومـع الرصاصـة ضـد الـوردة، ومـع القاتـل ضـد الضحيـة.

ثـم إن الثقافـة لا يمكـن أن تكـون محايـدة في قضيـة كـبرى كقضيـة

الحريـة، وبالتـالي لا يمكـن للمثقف أن يقف في نقطة الوسـط بين الحرية والعبوديـة، وإلا تحـول إلى لاعب سـيرك.

وبـكل أسـف، لقد كشـفت أحـداث الخليج عـن أكثر من مهـرج ثقافي، وأكـثر مـن متذبـذب، وأكـثر من بائع شـنطة.. لم يخجلوا مـن الوقوف مع الباطـل ضـد الحـق.. ومع جنازيـر الدبابات ضد عظام الشـعب الكويتي.

وثمـة مثقفـون آخـرون اختبـؤوا في جحورهـم، وامتنعـوا عـن الكتابـة، والإدلاء بـأي تصريـح بانتظـار نتيجـة المعركـة.. وعندئـذ سـيخرجون مـن جحورهـم ليرشـقوا موكـب المنتـصر بأكاليـل الغـار.

إن سوق النفاق الثقافي في ذروة ازدهاره هذه الأيام.

# هل تسمحون لي أن أحب وطني

## القسم الأول

# هل تسمحون لي أن أحب وطني

## القسم الأول

هـل صـار حـب الإنسـان لوطنـه عـاراً، أو عيبـاً، أو جريمـة تسـتحق الشنق ؟

وهـل صـار انتـماء الإنسـان إلى ثـدي أمـه، وفصيلـة دمـه، وسـقف بيتـه، وتـراب آبائـه وأجـداده، تهمـة تعـادل الخيانـة العظمـى؟

نعم.. نعم.

هـذا مـا يتشـدق بـه (الوطنجيـون) في هـذه الأيـام التـي أصبحـت فيهـا الوطنيـة سـيارة بـلا عجـلات.. ولا سـائق..

وهـذا مـا يكتبـه الثوريـون، والمؤدلجـون، وبائعـو بالونـات الوطنية الكاذبـة عـلى رصيـف الشـارع العربي.

لماذا؟

لأنـك –بـكل بسـاطة- رفضـت أن تطحـن دبابـات الرفيـق ميشـيل عفلـق جثتـك، وجثـة أولادك، وتفـرم ماضيـك وحـاضرك ومسـتقبلك خـلال خمـس دقائـق.

(الوطنجيون) ناقمون عليّ..

لأننـي اعتديـت عـلى عذريـة الدبابـة، ولم أشـكرها حـين مـرت على

جسـدي، فلقـد كان التهذيبُ وحسـن السـلوك والحضـارة تَفرضُ عليّ، أن أرشـها بالورد والأرز.

و(المؤدلجـون) غاضبـون منـي لأننـي اسـتدعيت البوليـس لينقـذني مـن لصـوص القوميـة العربيـة الذيـن خلعـوا بـاب وطنـي، واسـتولوا عـلى كل مـا فيـه مـن أثـاث وأوانٍ وسـجاد وأجهـزة تكييـف وثلاجات وتلفزيونـات، باعتبـار أن هـذا هـو مـن ممتلـكات الرفيـق ميشـيل عفلـق، بموجـب قوائـم رسـمية مصدقة من القيـادة القطريـة للحزب الحاكـم في العـراق، ونحـن سرقنـاه مـن منزلـه في بغـداد.

والمثقفـون المناضلـون عـلى طـاولات المقاهـي والعقائديـون المحاربـون بأسـلاك الميكروفونـات، والكتّـاب المسـتأجرون في حفـلات الـزار، والثوريـون الواقفـون بالطابـور أمـام حنفيـات النفـط.. كل هـؤلاء متضايقـون منـي، لأنني رفضـت أن يذبح وطني عـلى الطريقة الماركسـية، أو الطريقـة البعثيـة، أو الطريقـة المجوسـية..

والعاطلـون عـن العمـل في مقهـى الوحـدة العربيـة (المغلـق حتـى إشـعار آخـر) أعلنـوا الحرب عـلي، لأنني اخترت وطنـي، ورفضت بيعه في المـزاد العلنـي للعقـداء، والجـنرالات وأصحاب البـدلات الكاكية.

●●●

إنني لست بحاجة إلى أن أتلقى درساً في الوطنية من أحد لأن الوطنية عندي تقوم على أساس حضاري، وديمقراطي وإنساني وعقلاني، ولا تقوم على الجهل والشوفينية والغوغائية وعمى الألوان.

الوطنية لا تكون بالغضب والإكراه وإلغاء إرادة الآخر، وإذا كان النظام العراقي يرى أن تحرير القدس يكون باستبعاد الكويت من الخارطة فإننا نختلف معه كثيراً.

وإذا كان النظام العراقي يعتقد أن الحكم في الكويت هو حكم غير شعبي وغير ديمقراطي.. فهذا شأن يقرره الشعب الكويتي، ولا تقرره جنازير الدبابات.

ولا نريد أن ندخل في مقارنة بين الديمقراطيات في العالم العربي، لأن نتيجة المقارنة لن تكون في مصلحة العراق أبداً.

•••

إن الذيـن يغنّـون المواويـل عـلى (الوحـدة التـي لا يغلبهـا غـلّاب).. يتهمونني بالـردة والانهزاميـة وخيانـة القضيـة.. لأننـي كنـت صديقة العـراق، ورفيقـة نضاله، ومنشـدة انتصاراته، ولكنني بعد 2 أغسـطس (آب) 1990 غـيّرت رأيـي، وقدّمت اسـتقالتي..

هـذا صحيـح، فلقـد كنت في خنـدق واحد مـع العـراق، وكتبت فيه أجمـل الشـعر، يوم كان العراق يجسـد لنـا أحلامنا القوميـة، ويحارب دفاعـاً عـن وجودنـا، وعن مسـتقبل أولادنـا، وعن تراث الأمـة العربية وتاريخها.

هـذا هـو موقـف معروف، ومسـجل ومكتـوب، ولا أخجـل منه لأنه جـزء مـن فكـري ومن قناعتـي ومن خطـي القومي.

لكـن العـراق بعدمـا ابتلـع الكويـت، وقـرر أن يحولهـا بالدبابـات إلى المحافظـة التاسـعة عـشرة مـن العـراق، خذلني، وسـحقني، وألقى أحلامـي في الهاويـة.

والعـراق بعـد مغامرتـه العشـوائية لم يعـد سـندي ولا مُخلِّصي.. ولا مُحـرِّري.. وإنمـا صار مُسـتعمِري.

مـن كان يصـدق أن تتحـول مواسـير المدفعيـة العراقيـة 180 درجـة مئويـة، عـن أهدافهـا القوميـة لتـدك بيتـي في الكويت؟

مـن كان يصـدق أن الجيـش العراقـي الـذي يحـرس بوابـة الوطـن الكبـير، ويحتفـظ بمفاتيحـه يسـلبني بيتـي ويتركنـي في العـراء؟

مـن كان يصـدق أن تتحـول الوحـدة العربيـة التي طالمـا حلمنا بها، وغنينـا لهـا، وكتبنـا لها الملاحم.. إلى عملية سـطو مسـلح؟

إن الوحـدة سـوف تبقـى دائمـاً هـذه المدينـة الفاضلـة التي نسـعى للوصـول إليهـا، رغـم ارتفـاع الأمـواج وجنـون العاصفة.

ولكـن الوحـدة العربيـة لا تتحقـق أبـداً بتكسـير الـرؤوس.. وإنمـا بمخاطبـة النفـوس..

ويوجعنـي أن أقـول إن اجتيـاح الكويـت بهـذه الطريقة المتوحشـة والسـادية قـد أخّـر المـشروع الوحـدوي، ومـع كل الإحبـاط الـذي أصابنـي، ومـع كل هـذا الـركام الـذي تجمّـع في داخـلي.. أقـول: إن الشـعب العراقـي العظيـم سـيبقى في القلـب دائمـاً.. وهو بـكل تأكيد ليـس مسـؤولاً عـما حـدث..

ولكن المسؤول.. هي الدبابة!

# هل تسمحون لي أن أحب وطني

## القسم الثاني

# هل تسمحون لي أن أحب وطني

## القسم الثاني

أتابـع بكثـير من الدهشـة المقـالات النقدية التي يكتبهـا عني بعض المثقفـين، ويأخـذون فيهـا تغير أفـكاري، وتناقض مواقفـي فيما يتعلق بموقفي مـن الغزو العراقـي لبلادي.

ولـكي يثبتـوا وجهـة نظرهـم فإنهـم يرجعـون إلى أرشـيفي الشـعري والنـثري ويفتحـون كل الخزائـن والملفـات والأوراق الخاصـة بعلاقتـي مـع العـراق حتـى يربحـوا الدعـوى ضدي.

والواقـع أن علاقتـي الأدبيـة والروحيـة بالعـراق ليسـت علاقة سرية حتـى أخجـل بهـا، فهـي كعلاقـة ملايـين مـن الخليجيـين وقفـوا مـع العـراق في حربـه. ومـا كتبت من شـعر ونـثر، وما ألقيتـه في المربد من قصائـد أيـام كان الجيش العراقي يخوض باسـم العـرب حرباً مصيرية، كل هذه الكتابات مدونة ومسـجلة ومنشـورة، ولا أشـعر تجاهها بأي عقـدة من عقـد النقـص أو الندامة.

ولـو أن عقـارب الزمـن رجعـت إلى عـام 1980 مـرة أخـرى، واضطر الجيـش العراقـي للدفـاع عـن الشـعب العـربي، لوقفـت معـه بغـير تـردد.. وكتبـت ذات القصائـد التـي كتبتهـا قبـل عـشر سـنوات.

إن رؤيتـي القوميـة في الثمانينيات كانـت رؤيـة كل القوميـين والمثقفـين العـرب.. وكانـت متطابقـة مئـة بالمئة مع المـشروع القومي الثـوري العـربي، ولم تكـن قصائـدي في المربـد سـوى جـزء صغـير مـن ألـوف القصائـد التـي غنى بها الشـعراء العرب للعـراق، معبرين بذلك عـن التزامهـم العـربي والقومـي في هـذه المرحلـة المصيرية مـن تاريخ العرب.

أمـا وقـد ضرب النظـام العراقـي في ابتلاعـه البشـع لدولـة الكويـت المـشروع القومـي العـربي، وانحـرف 180 درجـة مئويـة عـن الهـدف القومـي الكبـير، فقـد وجـدت نفـسي في حـل مـن التزامـي، لأننـي لا أسـتطيع أن أكـون شـاهدة زور عـلى هـذه المجـزرة التـي ترتكب على أرض بـلادي.. كـما لا أسـتطيع أن أشـكر الدبابـة التـي نسـيت طريقها إلى أرض فلسـطين، وحطمـت بوابـة وطنـي.

ربمـا كنـت مخدوعـة، أو مغرورة، أو رومانسـية، حـين اندفعت بكل عاطفتـي في تأييـد نظام كان يخطط في الظـلام لإبادتي وإلغاء وجودي.

وربمـا كنـت مضللـة، حـين لم أكتشـف الوجـه الحقيقـي للنظـام العراقـي الـذي كان يقـوم عـلى القمـع.

وربمـا كنـت سـاذجة لأنني لم أتنبأ بأن السـيف العراقـي الذي غنيته في إحـدى قصائدي.. ذبحني، وأسـال دمي.

وربمـا كان عـذري أننـي شـاعرة، قبـل أن أكـون منجّمـة، أو طبيبـة نفسـانية لأعـرف طبيعة الأنظمـة، وأفكارها ونواياها، وأتنبأ بما سـوف تحملـه لي ولبـلادي، وللوطـن العـربي.. من كـوارث وويلات.

وأود أن أقـول للأسـاتذة النقـاد والمثقفـين، الذيـن أحمـل لهـم كل الحـب والاحـترام، إنهـم في نقدهم يتجاهلـون أن الشـاعر ليس حجراً،

ولا بلاطـة ولا عمـود كهربـاء، ولا شـكلاً هندسـياً لا يتغـير.

الشاعر هو برق ومطر وسماء دائمة التحولات.

الشـاعر حالـة تاريخيـة وبشريـة ونفسـية، ولا يمكننـا أن نطلب من الشـاعر أن يبقـى كقضبـان السـكة الحديديـة أو كتمثـال إغريقـي قديم.

ثـم إن مواقـف الإنسـان ليسـت مصنوعـة مـن الحديد والإسـمنت، ولكنهـا مصنوعـة مـن الـدم واللحـم والأعصاب.

والشـاعر ليـس عالم فيزيـاء أو كيمياء أو رياضيات، حتى نسـجنه في داخـل معادلاته وأرقامـه، ونتهمه بأنه وقـع في التناقض.

إن سـيد الشـعر العـربي أبـا الطيب المتنبـي اختصر حالتـه، وحالتي، وحالـة كل شـعراء الدنيـا.. في بيـت شـعر واحد يقـول فيه:

على قلق كأن الريح تحتي　　　　أوجهها يميناً أو شمالا

وبعيـداً عـن المزادات الأيديولوجية والمثاليـة والتنظيرية، وبعيداً عن الوعـظ والنصـح والتعليـم والأسـتذة.. التـي تقفهـا بعض الأنتلجنسـيا العربيـة من اغتصـاب الكويت..

أقـول للأسـاتذة الذين يلبسـون القفازات والأقنعـة الواقية خوفاً من أن تحـترق أصابعهـم بنار حرب الخليج، وتشـوه وجوههم الجميلة..

أقـول لهـم: إننـي سـأبقى كويتيـة مـن رأسي إلى قدمي، ولن أسـمح لأحـد أن يقتلعنـي مـن بيتـي وهويتي وجـذوري..

فهل تسمحون لي أن أحب وطني؟؟

# هل تسمحون لي أن أحب وطني

## القسم الثالث

# هل تسمحون لي أن أحب وطني

## القسم الثالث

وتعـود مـرة أخرى لتسـأل فقهاء القوميـة العربيـة وبطاركتها: «هل تسـمحون لي أن أحـب وطني؟؟».

فينظـرون إليـك مـن أعلى أنوفهم.. سـاخرين ومتعجبين من سـؤالك الرجعي والمتخلف.

ورغـم أن السـؤال طبيعـي ومـشروع، وهـو مـن حـق كل الأحيـاء ابتـداء مـن الديـدان، إلى الطيـور إلى الأسـماك إلى القطـط.

فـإن الأسـاتذة يـرون أن سـؤالك لا محـل لـه من الإعـراب، وأن حب الوطـن مؤجـل حتى إشـعار آخر.

وإذا سـألتهم أنـا واقعـة بـين أن أكـون مـع وطنـي أو أن أكـون مـع الدبابـة.. فيجيئـك الجـواب بـارداً كالقـبر، ومحايـداً كالمـوت:

ـ مع الدبابة، طبعاً..

إن مناقشـة الشـأن الوطنـي مـع طبيـب بيطـري، أو مـع ملاكـم، أو شـاويش في أحـد السـجون.. لا يؤدي إلى نتيجـة، لأن الوطن عند بعض البـشر ليـس سـوى زائـدة دودية يستحسـن قطعها.

وعندما يسأل الكويتي وهو يبصق دماً بعض أطباء القومية العربية وصيادلتها:

ـ ووطني الكويت.. ما وضعه الديموغرافي والفيزيولوجي والعضوي والإنساني حسب تشخيصكم؟

فيجيء الجواب بارداً كالقبر، ومحايداً كالموت:

ـ زائدة دودية.. طبعاً.

إن النظر إلى الأوطان على أنها زائدة دودية لا تضر ولا تنفع سوف يشجع أي مغامر يحمل في جيبه مقصاً على أن يقص ويفصل أجساد الأمم على هواه.

وما أصاب الكويت لم يكن عملية جراحية حمقاء قام بها حلاق يمارس الجراحة بلا ترخيص قانوني.

إن من يقرأ كتابات وتفسيرات وتبريرات بعض فلاسفة القومية العربية والمنظرين لها على الورق فقط.. يكتشف أن هؤلاء الفلاسفة يعيشون في كوكب آخر، ويختبئون خلف ظلهم، ويستعملون في خطابهم القومي اللغة المسمارية!!

إنني لم أكتشف معنى جبن بعض المثقفين إلا في هذه الأيام المأساوية، فكاتب يكتب بنصف أصابعه، وآخر يكتب بربع أصابعه، وصحافي كبير يكتب كي لا يقول شيئاً، ولا يتخذ موقفاً، وكاتب يضع عشرات الأصباغ على وجهه كأنه ذاهب إلى حفلة تنكرية، وكاتب يختبئ تحت اللحاف حتى لا يلقى القبض عليه متلبساً بجريمة قول الحقيقة.

أيـن هـم مثقفونـا التقدميـون الذيـن كانـوا يملـؤون الدنيـا بعبعـة وجعجعـة إذا انتهكـت عذريـة ذبابـة في بـلاد الأسـكيمو، أو انتحـرت ضفدعة في غابات الأمازون، أو سـحقت الدبابات السـوفييتية أجسـاد التلاميـذ في ربيـع براغ؟

هـل قـرأ المحاربون بنظـارات القوميـة العربية القصـة الدامية التي روتهـا إحـدى الطبيبـات العامـلات في الكويـت، وأكـدت فيهـا أن 22 مولـوداً جديـداً في أحد مستشـفيات الكويت لقوا حتفهم بعد سـحب جنـود الاحتـلال العراقي خراطيم الأوكسـجين مـن حاضناتهم، في إطار النهـب العراقـي لمعـدات المستشـفيات والمراكـز الطبيـة، ونقلوها إلى بغداد.

(انتهى كلام الطبيبة)

طبعـاً لا أحـد مـن مثقفينـا المحاربين بنظـارات القوميـة العربية قد قـرأ هـذا الخـبر، لأنـه خبر عـادي جـداً، لا يحـرق الأعصـاب، ولا يحرك الضمائـر ولا يثـير شـهوة الكتابة.

ما الذي يثير خيال الكاتب العربي إذن؟

يثـيره أن تمـوت ذبابـة بفقـر الـدم في تنزانيـا أو نيكاراغـوا أو غواتيـمالا..!

أمـا أن يمـوت نصـف مليون مصري وهنـدي وباكسـتاني وسريلانكي.. عطشـاً وجوعـاً على الحـدود العراقيـة الأردنية فمسـألة فيها نظر..

وأمـا أن يخـسر الشـعب الكويتـي خـلال نصف سـاعة اسـمه وبيته وعنوانـه وثيابـه ونقـوده وتاريخـه وذاكرتـه.. ويتحـول إلى شـعب مـن الغجـر يحمـل حقائبـه وأولاده، وأحزانـه عـلى كتفيـه.. ويبحـث عـن خيمـة يـأوي إليهـا، فمسـألة ثانويـة جـداً، أمـام زحـف جيـوش

الإمبرياليـة مـن بـلاد قحطـان وعدنـان..

أمـا مـن هـم الإمبرياليـون؟ وهل جـاؤوا من الـشرق أو مـن الغرب، ومـن البحـر أو مـن الـبر؟ وهـل هـم نصـارى أو مسـلمون؟ وهل هم يتكلمـون الإنجليزيـة أو يتكلمـون العربيـة؟ وهـل هـم مـن سـلالة إبراهـام لينكولـن أو مـن سـلالة أبي العبـاس السـفاح؟

فالعلم عند الله..

والـذي أعرفـه أن كلمـة (الإمبرياليـة) هـي حمّالـة أوجـه، ولهـا أكثر مـن معنـى في قاموس أوكسـفورد أو في قاموس محيـط المحيط.. ورغم أن اللفظـة في أساسـها لاتينيـة فرنجيـة، لكـن العـرب نقلوهـا بأمانـة إلى اللغـة العربيـة، وأدخلوهـا إلى قاموسـهم العـربي والعسـكري.. فصـارت لدينـا (إمبرياليـة عربيـة) لا تقـل فتـكاً وقسـوة وضراوة عـن كل الإمبرياليـات الفرنجيـة المسـتوردة.

وهـذا يعنـي أن الإمبرياليـات كثـيرة، لا واحـدة، فثمـة إمبرياليـة مسـتوردة، وثمـة إمبرياليـة مـن (الصناعـة المحليـة) تتفـوق بجودتهـا ومتانتهـا ومواصفاتهـا عـلى كل الإمبرياليـات التـي أنتجتهـا مصانـع الغـرب.

وقـد رأى الكويتيـون في فجـر اليـوم الثاني من شـهر أغسـطس (آب) المـاضي بـأم أعينهـم ولادة إمبرياليـة لا تقـل وحشـية ودمويـة وجنوناً عـن إمبرياليـات القرن التاسـع عشر.

ويخـرج حكـماء القوميـة العربيـة مـن جحورهـم ليقنعـوك بعد أن سرقـت بلادك منـك، بأن تبقى مبتسـماً ومبتهجـاً ومتفائـلاً.. ويطلبون منـك أن تشـكر اللـه، لأن حلـم المرحـوم الأسـتاذ ميشـيل عفلـق قـد تحقـق أخـيراً.. ولأن استشـهاد الشـعب الكويتـي تحـت جنازيـر

الدبابـات العراقيـة هـو أقـرب لدخـول الجنـة..

ومـع احترامـي لسـماسرة الجنـة، والواقفـين عـلى شـباك التذاكـر في مـسرح الوحـدة العربيـة.. أقـول لهـم إن جنـة يتـولى قطـع التذاكـر فيهـا رجـال مباحـث، ويتـولى إدارة أعمالها رجال المخابـرات، هـي جنة مرفوضة..

إننـا نعـرف جيـداً طريقنـا إلى الجنة، وطريقنـا إلى اللـه.. أما جنتكم التـي تحصـد الرجـال والأطفـال والنسـاء بنـار البنـادق والرشاشـات، وراجـمات الصواريـخ.. فـإن الجحيـم أكـثر رحمـة منهـا وأكثر سـلاماً.



# أحمل ملف الوطن

# أحمل ملف الوطن*

أيها الأصدقاء الزملاء..

ما كنت أتنبأ -أنا الكويتية العربية- أن أقف ذات يوم أمام اتحاد المحامين العرب، بصفتي مدعية، وشاكية، ومعتدى عليها..

ثم ما كنت أتنبأ، ولا كان في مقدور أي عراف أن يتنبأ، أن المدعى عليه، الذي أرفع عليه قضيتي، وأطلب منكم إدانته جزائياً وقومياً وعربياً، هو واحد من أبناء عمومتي.. وأنا التي طالما ساهمت بفكري وجهدي من أجل الدفاع عن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان.

وللمرة الأولى في تاريخ علاقاتي العامة أدخل على زملائي من المحامين والمفكرين والمثقفين، وأنا لا أحمل ابتسامتي كما تعودت، وإنما أحمل ملف أحزاني، وأحزان الوطن الكويتي المقهور.

الملف الذي أحمله ليس ملفاً شخصياً.. وإنما هو ملف وطن صغير، هو في طريقه إلى المحو والاستئصال والإلغاء بحجة أنه خطأ تاريخي وجغرافي.. وزائدة دودية لا تنفع ولا تضر.

وإذا قبلنا هذا المنطق الجراحي أو البيطري في إلغاء شعب بكامله بضربة مبضع.. فإن هذا العالم سوف ينتقل من حكم القياصرة إلى حكم البياطرة، وتصبح غرفة العمليات هي المكان المناسب لتقرير

---

* ندوة اتحاد المحامين العرب عن أزمة الخليج ١٩٩٠/١٠/١٤

مصير الشعوب.

وإذا كانت النظرية القومية تقرر أن الشعب الكويتي شعب لا لزوم له.. فإن عشرات بل مئات الشعوب الأخرى ستدخل أيضاً في كتاب (لزوم ما لا يلزم) لأبي العلاء المعري، وتصبح جغرافية الكرة الأرضية بيد المغامرين وقطاع الطرق.

وأود أن أسألكم، وأنتم أساتذة القانون في وطننا العربي، من هي السلطة القانونية التي تقرر أن هذا الشعب لازم.. وهذا الشعب غير لازم؟

إذا كانت الدبابة هي التي تقرر ذلك.. فإنها ستكون فاجعة الفواجع، لأن الدبابة هي أمية بطبيعتها، ولم يسبق لها أن درست القانون، أو مارست المحاماة، أو دخلت في سلك القضاء.

الدبابة تبقى دائماً دبابة، ومهمتها الرئيسية هي أن تطحن عظام الشعوب، وتطحن إرادتها.

الدبابة قد تقود انقلاباً، أو تصدر البلاغ رقم 1، ولكنها لم تقرأ كتاباً واحداً في الفقه الدستوري، أو في الفقه الروماني، أو في القانون الدولي.

والذي يدعو إلى السخرية أن ترى دبابة تلقي عليك درساً في القومية العربية، ووحدة الدم واللغة والدين والمصير، وتتعامل معك على الطريقة النازية أو الإسرائيلية في نسف البيوت، وتفريغ الأرض من سكانها، واستيراد سكان جدد بدلاً عنهم.

وإذا كان الغزاة العراقيون لم يستعملوا أفران الغاز حتى اليوم مع الشعب الكويتي، فليس لأنهم يخافون الله، أو عقوبات الأمم المتحدة، بل لأن مهندسيهم لم يكتشفوا أفران الغاز بعد.

هـذا هـو كتـاب الوحـدة الذي قرأنـاه في الكويت في الثاني من شـهر أغسطس 1990.

ومـا جـرى في الكويـت تحـت الاسـتعمار العراقـي هو نمـوذج حرفي ومنقـول عن الممارسـات النازيـة في دول أوروبا الشرقية.. والممارسـات الإسرائيليـة في فلسـطين المحتلة..

ولا تؤاخـذوني إذا وصفـت لكـم الكتـاب بأنـه كتاب بوليـسي إرهابي دموي.. يشـبه إلى حد بعيد قصص أغاثا كريسـتي ومسلسـل دراكيولا..

فهـل هـذه هـي الكتـب الأيديولوجية التي سـنطلب مـن أولادنا أن يقرؤوها؟

إن الأطفـال الكويتيـين اليـوم يبحثـون في منافيهـم عـن مدرسـة تقبلهـم في العـام الـدراسي الجديـد، فتقفـل في وجوههـم الأبـواب..

فكيـف سـنقنع هـؤلاء الأطفـال بوحدة اللغـة والدم والمصـير.. بينما هـم بغـير لغة وبغـير مصير؟

إننـي أرجـو ألا يفهـم كلامـي أننـي كفـرت بوحـدة العـرب، أو بقدرتهـم عـلى الالتقـاء بشـكل مـن أشـكال العقلانيـة، فالكويتي على رغـم مرارتـه واكتئابـه وإحباطـه الشـديد لا يـزال مشـدوداً إلى المثـل الأعـلى، والحلـم الكبـير.

ولكـن الوحـدة التـي مورسـت عـلى الشـعب الكويتـي لا علاقـة لها بالحلـم، ولا بالمثـل الأعـلى، ولا بـأي مبـدأ مـن مبـادئ الأخلاق.

إنهـا وحـدة قهر وإذلال، وإلغاء لشـعب بكل مقوماتـه وخصوصيته وشرائحه الاجتماعية.

وإذا كان الولـد قـد عـاد أخـيراً إلى حضـن أمـه -كـما تقـول أجهـزة الإعـلام العراقيـة- فإنـه لا توجـد أمٌّ في الدنيـا، تعمـد إلى سرقـة حليب

أطفالها، وتغيير أسمائهم، وتجريدهم من ثيابهم..

هذه أمومة كاذبة.. وحنان كاذب.. ووطنية كاذبة.

أيها الزملاء الأساتذة..

إن أي زواج في العالم لا يقوم على التقاء روحين وجسدين ورغبتين وإرادتين.. هو زواج فاشل، وانتحاري، ومصيره الطلاق.

والنظام العراقي، مع الأسف الشديد، حمل إلينا عقد الزواج والمأذون على ظهر دبابة.

لذلك كفر الكويتيون بهذا الزواج السياسي الفظ.. وهربوا من بيت الزوجية، تاركين وراءهم الجهاز، الذي وضع العريس يده عليه، وشحنه إلى بغداد.

أيها الأصدقاء والزملاء..

لأنكم أهل العدالة والقانون والفكر، وأهل الحق والحقيقة.. أرجو أن تدرسوا أزمة الخليج دراسة ميدانية لا نظرية، فما جرى على أرض الكويت هو من البشاعة بحيث لا يمكن لأية نظرية أو أيديولوجيا أن تبرره أو تتستر عليه.

وبكل صدق وموضوعية وتجرد، أقول لكم إن ما جرى على أرض الكويت هو عمل تخريبي.. لا عمل توحيدي، عمل مبني على العصابية والنرجسية وعبادة الذات، أكثر مما هو مبني على قرار المؤسسات الديمقراطية والشعبية.

ولأنني قومية وعربية ووحدوية الجذور.. أرفض الخلط الغوغائي بين التوحيد والتخريب، فقتل الكويت على هذا النحو الاعتباطي والفردي والفاشستي لا علاقة له بالقومية أو بالعروبة، ولا بالفكر الوحدوي.

يا أصدقائي وزملائي..

الملف الذي أحمله طويل، ولكنني أشفق عليكم من قراءة كل تفاصيله ووقائعه..

كل ما أود أن أقوله لكم، وأنتم تناقشون في ندوتكم (أزمة الخليج) أن تتذكروا أن مهنتكم كمحامين عرب ومثقفين وطليعيين ورواد فكر.. ألا تتركوا القتيل ينزف على الأرض، وأنتم مشغولون عنه بالتنظير والخطابة، والمرافعات البلاغية الطويلة.

البلاغة مؤجلة، والفصاحة مؤجلة، وقصائد الرثاء مؤجلة.. فما نريده منكم، وأنتم رجال شريعة وقانون، ورجال فكر وثقافة، أن تعطونا تقريراً طبياً مفصلاً.. يذكر لنا كيف مات القتيل.. ومن قتل القتيل؟

إن الجريمة يا حضرات الأساتذة ليست معقدة ولا غامضة، ولا مر عليها الزمن، فمرتكب الجريمة معروف، وأدوات الجريمة موجودة، ومكان الجريمة معروف.. وهو دولة ديمقراطية صغيرة اسمها الكويت.

أيها الزملاء والأعزاء..

قبل أن أترككم للتشاور فيما بينكم وتقديم تقريركم إلى هيئة المحكمة.. أدعوكم كمحامين ومفكرين وطليعيين ورواد فكر إلى أن نضع معاً الأسس، ونرسي المبادئ في عقد اجتماعي عربي لنظام عربي جديد، لا تتجزأ فيه المبادئ، ولا يضحّى بقضية مدنية من أجل قضية مصلحية.

إن المبادئ لا تتجزأ، والعدالة لا تتجزأ، والحرية لا تتجزأ.. وفي محفل يرعاه اتحاد المحامين العرب أطلق هذه الصرخة من أجل

الحـق والعروبة.

أيها الأصدقاء الأصدقاء..

أود أن أتوجـه إلى مـصر العدالـة، ومـصر الديمقراطيـة، ومـصر الرجولـة والشـهامة والمثـل العليـا.. بأعمـق مشـاعر العرفـان والحـب والتقديـر.. باسـمي وباسـم الشـعب الكويتـي في الوطـن والمنفى، عـلى مواقف الشرف التـي وقفتهـا مـن قضيتنـا العادلـة، ومواقـف مـصر هـذه ليسـت جديدة، فهـي تأكيـد جديد على أصالة مـصر، وعمق أبعادها الإنسـانية والحضارية.

كـما أقـدم أعمـق الشـكر لاتحـاد المحامين العـرب، الذي دعـا إلى هذه النـدوة في مثـل هـذه الأيـام المتفجرة، مؤكـداً بذلك حرصه عـلى أن يبقى الحـق دائمـاً متوهجـاً ومضيئـاً، وألا تدفن أزهـار الحريـة والديمقراطية في رمـال اللامبالاة.

# كنت أريد أن أفتح
# حقائب الفرح

# كنت أريد أن أفتح حقائب الفرح*

يا أساتذتي الأجلاء.. أيها الأحباء الأحباء..

بعد فراق دام عشرين عاماً بيني وبين جامعتي، أعود وقلبي يخفق كعصفور ربيعي..

فما أحلى الرجوع إليها..

وما أحلى الرجوع إليكم..

شعوري هو شعور الحمامة العائدة إلى قبة مسجد، أو شعور سفينة أتعبها الصراع مع الرياح والأمواج وأسماك القرش.. فعادت إلى مرفئها القديم.

في عام 1970 كنت طالبة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.. كان زمناً جميلاً اختلطت فيه الطفولة بالشباب.. بالطموح.. بالجنون.. بكتابة الشعر.. بالأحلام المستحيلة.

كان ذلك الزمن أروع الأزمان، بل كان سيد الأزمان، وما زال المقعد الذي كنت أجلس عليه في قاعة المحاضرات هو أعظم عرش جلست عليه في تاريخ حياتي.

الطلاب هم الملوك الحقيقيون، خلال دراستهم الجامعية، حتى إذا تركوا الجامعة نزعت التيجان عن رؤوسهم.

بحنين الطفل العائد إلى بيت أبيه، أعود إلى كلية الاقتصاد

---

* ألقيت في ندوة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة بتاريخ ١٩٩٠/١٠/١٧

والعلـوم السياسـية لألملـم ذكريـاتي التي لا تـزال تعرض عـلى حيطانها كأزهـار الياسـمين.

فهنا نبت ريشي..

وهنا تعلمت الطيران وحدي للمرة الأولى.

مـن أجـل هذا يسـعدني أن أعـود بعد عشرين عامـاً، لأعترف بجميل فضلهـا عـليّ، فقد سـقتني من ينابيـع المعرفة حتى ارتويت، وأشـعلت لي شـموع الحقيقة حتى اهتديت.

قبـل عشريـن عاماً كان الصبا يلون كل الأشـياء باللـون الأخضر، وكنا نرسـم القمر بالشـكل الـذي نريد، ونعطيه الحجـم الذي نريد.

قبـل عشريـن عامـاً كنـا قادريـن على تغيـير هندسـة الليـل والنهار، وقادريـن عـلى أن نخـرج الربيـع مـن جيوبنا.

قبـل عشريـن عامـاً كان الوطن فراشـة قزحيـة الجناحـين تحط على أكتافنا..

وكانـت الحريـة عصفـوراً خرافيـاً يـأتي كل مسـاء ليبنـي عشـه عـلى شرفاتنا.

قبـل عشريـن عامـاً كانت الكتابـة ممكنة، والأحلام ممكنة، والشـعر ممكناً.

يا أساتذتي الأجلاء..

أيها الزملاء والزميلات، أيها الأصدقاء الأصدقاء..

كنـت أريـد أن أفتح أمامكـم حقائب الفرح، لا حقائـب الحزن، وأن أطير إليكم على سـجادة الشـعر والكلـمات الجميلة.

ولكـن مـاذا أفعـل، إذا كانـوا قـد سرقـوا الشـعر مـن فمـي، والوطن مـن راحـة يـدي.. وسرقوا الشـعب الكويتي مـن بيته، وسرقـوا التاريخ

بقوة السلاح؟

ماذا أفعل إذا كان الوطن العربي مصراً على الانتحار، ومصراً على أن يتحاور مع الآخرين بالمسدسات الكاتمة للصوت؟

ماذا أفعل إذا كانت الحرية -كما نفهمها- هي حرية اغتيال الآخرين.. والوحدة العربية المنشودة هي في سحق الأوطان الصغيرة بجنازير الدبابات؟

ماذا أفعل بمن أضرم النار في سفينة الأمة العربية، ورمى ركابها للحيتان الجائعة؟

هذا باختصار ما فعله المقامرون المغامرون بوطني الكويت..

ومع هذا، ومع كل الحرائق التي تحاصرني، ومع كل العواصف التي تضربني، فلن ألقي السيف أبداً، ولن أترك القراصنة يبحرون بسفينة الكويت إلى المجهول.

سوف أبقى على ظهر السفينة، أقاتل بأظفاري وأسناني، حتى يلوح ضوء الفجر، ويغرق آخر القراصنة.

وربما كان وجودي اليوم في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية فرصة نادرة، لأجدد عزيمتي وأجمع ذخيرتي، وأتزود بالماء والسلاح والحرية، فالجامعات هي الحدائق المثالية التي تتفتح فيها أزهار الثورة والحرية.

ومن أجل هذا أتيت إلى جامعتي لأقرأ مرة أخرى كتاب الثورة.. وكتاب الحرية.

# لن تتحول الكويت
# إلى أندلس ثانية

## لن تتحول الكويت إلى أندلس ثانية*

أيها الأصدقاء..

الدخـول إلى نقابـة الصحافيـين في القاهـرة، يشـابه الدخـول إلى جامعـة تعلـم تلاميذهـا مـادة واحـدة فقـط هـي الحريـة.

هـذه المـادة الواحدة تلغـي كل المواد الأخرى، فبغـير الحرية يتحول الإنسـان إلى نصف إنسـان.. أو إلى ربع إنسـان.. أو إلى مشروع إنسان.

ولأننـي أبحـث عـن الحرية، ككتابـة وشـاعرة ومواطنـة، فإنني أجد في نقابـة الصحافيـين المصريـين الأرض المثاليـة التـي أسـتطيع أن أقـول عليهـا مـا أشـاء.. وأصرح كما أشـاء.

أيها الأصدقاء..

إننـي أقصـد القاهـرة لأقـول فيهـا كلامـاً لا أسـتطيع أن أقوله في غير القاهرة.

ففـي هـذا العصر البوليـسي الذي أصبح فيه الحـوار العربي – العربي محكومـاً بالقنابـل والمسدسـات والصواريـخ بعيـدة المـدى، تبحـث الكلمـة العربيـة عـن ملجـأ أمـين، لا يصل إليـه رصـاص المتقاتلين.. ولا تغطيـه الأسـلاك الشـائكة، وأكيـاس الرمل.

في هـذه الأيـام التـي أصبحـت فيهـا أعصابنـا رمـاداً، وكلماتنـا رماداً، وأمانينـا رمـاداً، نلتجـئ إلى ذراعَـي مـصر التـي كلـما أردنـا أن نكتـب

* ألقيت في ندوة نقابة الصحفيين بالقاهرة في ١٩٩٠/١٠/١٨

كتبنا على سمائها المفتوحة الزرقاء، وكلما أردنا أن نستحم بماء الحرية قصدنا نيلها العظيم، وكلما أردنا أن نبكي بكينا على صدرها الرحيم.

أيها الأصدقاء..

كم أنا سعيدة، وملأى بالعنفوان، لأني في بيت الصحافة، بيت الصحافة هو بيتي.. وقضيتها هي قضيتي.

وأنا مدينة للصحافة المصرية بشكل خاص لأنها علمتني كثيراً، وكرّمتني كثيراً، وكانت دائماً رفيقة كلماتي، ورفيقة حريتي.

الصحافة هي السلطة الرابعة في عالمنا، بل هي السلطة الأكثر ثباتاً، والأرسخ جذوراً من كل السلطات.

وفي حين تتساقط ديكتاتوريات، وتترنح أيديولوجيات، وتتناثر أنظمة بوليسية كأوراق الخريف.. تظل الصحافة سيفاً شجاعاً يقود معارك تحرير الشعوب في كل أرجاء العالم.

إن الصحافة التي أعنيها، ليست الصحافة الخائفة، ولا الصحافة المتسولة على أبواب الأنظمة، ولا الصحافة الهاربة من الجندية، ولا صحافة تزوير المواقف، ولا صحافة العرض والطلب، ولا الصحافة التي تغيِّر مواقفها حسب نشرة صرف العملات، ولا الصحافة التي تغيِّر ولاءها.

مثل هذه الصحافة التابعة والذيلية والجالسة تحت أقدام من يملكون السلطة، أو يملكون رأس المال.. لا أناقشها أساساً.

وإنما أتحدث عن صحافة أخرى، بقيت رغم كل الضغوط المادية والاقتصادية والسياسية محتفظة بنقائها وشرفها.. وعذريتها.

إنني أحمل أحزاني إلى مصر، لأنها أكثر البلاد فهماً لطبيعة الحزن،

وأحمـل إليهـا مدامعـي، لأنهـا تعـرف جيـداً مـن أيـن تـأتي الدمـوع، وأرفـع فـوق أهراماتهـا بيـارق حريتـي.. لأنهـا معلمـة الحرية.

إننـي أقصـد مـصر الأم، لأشـكو إليهـا عقـوق بعـض الإخـوة الذيـن أشـعلوا النـار في منـزل الأبـوة، وقطعـوا شـجرة العائلـة، وحولـوا الـدم العـربي إلى نهـر مـن الأوسـاخ.

أيها الأصدقاء..

أنـا شـاعرة عربيـة مـن الكويـت، سرق منـي وطنـي، خـلال خمـس دقائـق؛ ببحـره وشـواطئه وأشـجار نخيلـه ورجالـه ونسـائه وأطفالـه وعنوانـه ورقـم صندوقـه البريـدي..

خمـس دقائـق فقـط.. لم يتركـوا نخلـة في بسـاتين الكويـت إلا قطعوهـا، ولم يتركـوا سـمكة في بحـر الكويـت إلا أكلوهـا، ولم يتركـوا نجمـة في سـماء الكويـت إلا اعتقلوهـا، ولم يتركـوا مطبعـة أو جريـدة أو مكتبـة.. إلا نسـفوها.

خمـس دقائـق فقـط.. حمـل النازيـون الجـدد الكويـت في حقيبـة عـلى ظهورهـم، ولم ينسـوا أن يضعـوا الشـعب الكويتي كلـه في داخل الحقيبة.

في الثـاني مـن شـهر أغسـطس 1990، اكتشـفنا أن مافيـات القوميـة العربيـة سرقـت الكويـت، ومدارس الكويـت، وأبراجها، ومستشـفيات الكويـت، وممرضات الكويت، وأنابيب الأوكسـجين، وغرف العمليات، وزجاجـات المصـل.. ووضعتها في سـيارات شـحن، ونقلتهـا إلى بغداد..

أيها الأصدقاء..

إننـي شـاعرة كويتيـة عربيـة وحدويـة، نـذرت دموعهـا وقلمهـا ومالهـا.. مـن أجـل قيامـة وطن عربي جديـد ينهض على أسـاس العقل

والمعرفة والعدالة والديمقراطية.. ولكنني بكل إصرار أرفض الخلط بين القومية العربية واللصوصية، وبين المثل الأعلى والغوغائية، وبين طهارة العقيدة ودعارة التطبيق.

لقد سقطت النازية في كل أنحاء العالم، وتدحرجت الديكتاتوريات تحت أقدام الشعوب، وانتصر الإنسان على جلاديه وقاتليه، وهدم أسوار سجونه.

وإذا كان جدار برلين قد تحطم بعد خمسة وأربعين عاماً بضربات الشعب الألماني، فإن الشعب الكويتي سوف يحطم جداره أيضاً.

وإذا كان الشعب الروماني قد صفّى حسابه مع تشاوشيسكو، والشعب السوفييتي قد نبش قبر ستالين.. فهذا دليل على أن عمر الطغاة قصير، وأن تاريخ الشعوب لن يشطب بهذه السهولة.

إن محاولة شطب الكويت من التاريخ هي محاولة مستحيلة، ومهما كان الخراب كبيراً، والجرح عميقاً، والأساليب متوحشة.. فسوف يعود الكويتيون إلى الكويت، ليبنوها حجراً حجراً، ونخلة نخلة، وموجة موجة، ومئذنة مئذنة.

ولن تتحول الكويت أبداً إلى أندلس ثانية.

وشكراً لصحافة مصر، التي حملت الكويت على أهداب عينيها ونصرتها، وقاتلت معها في الصفوف الأولى.

وشكراً لمصر العظيمة التي لم تتردد في دخول معركة الحرية مع الكويت منذ أول لحظة.

إنه شكر الأحرار للأحرار.

# اغتصاب التاريخ



## اغتصاب التاريخ

إذا كان الاغتصاب الجغرافي لشعب من الشعوب يمكن تبريره أو تفسيره، فإن الاغتصاب التاريخي للشعوب، هو نوع من المقامرة الفاشلة، والجرائم المستحيلة.

اغتصاب الجغرافيا هو اغتصاب أرض وحجارة.

أما اغتصاب التاريخ فهو اغتصاب للإنسان بكل امتداداته الروحية والحضارية والقومية والدينية والثقافية.

والاغتصابات الجغرافية كثيرة جداً في العصور القديمة.. وسرقة الأرض كانت إحدى هوايات المغول، والتتار، والبرابرة، والهكسوس، والفايكينغ، والرومان، والإغريق.

وابتداء من القرن الخامس عشر، كان اغتصاب العالم جغرافياً على يد الإسبان، والبرتغاليين، والهولنديين، والإنجليز، والفرنسيين، والطليان، روتيناً رسمياً، وجزءاً أساسياً من إستراتيجية الإمبراطوريات القديمة، للحصول على مزيد من المواد الأولية، والتحكم بالطرق التجارية للعالم..

كانت الاغتصابات الجغرافية العسكرية في القرون الماضية، تمر بيسر وسهولة، وكان التفوق العسكري للدول الاستعمارية يتيح لها عن طريق أساطيلها الجبارة أن تقتسم فيما بينها ثروات القارتين الإفريقية والآسيوية دون مقاومة تذكر..

ولكـن الاغتصـاب التاريخـي للشـعوب ظل صعبـاً بل مسـتحيلاً، ولم يسـتطع الاسـتعمار القديم أن يكسر الروح الأفريقية والآسـيوية، رغم مـرور مئات السـنين على وجـوده فيها.

وهكـذا احتلـت بريطانيـا الهند عسـكرياً، ولكنها لم تسـتطع احتلال الـروح الهنديـة، واحتلـت فرنسـا الجزائـر عسـكرياً، ولكنها لم تسـتطع أن تحتـل النفـس الجزائرية.

واحتـل نابليـون مـصر، ولكنـه لم يسـتطع أن يطفـئ شـمس مـصر، أو يلغـي نهـر النيـل. ونهـش هتلـر قطعـاً مـن جسـد النمسـا والمجـر وتشيكوسـلوفاكيا.. ثـم مـات منتحـراً. واحتل سـتالين أوروبـا الشرقية، وسـحق شـعوبها بدباباتـه، عـلى مدى خمسـة وأربعين عامـاً، ثم رجع إلى موسـكو بخفّـي حُنَـين.. مضروبـاً بأحذية الشـعوب..

واحتلـت الإمبراطوريـة الرومانية نصف العالم، ولكنها لم تسـتطع أن تجعلـه يتكلـم اللغة اللاتينية.. ويتذوق (السـباغيتي).

واليـوم يحـاول صـدام حسـين، أن يلعـب بالتاريخ على هـواه، فيغير مـرة حـدود الكويـت، ويغـير مـرة اسـمها، ويغـير مـرة ثالثة تشـكيلها الديموغـرافي؛ فينقـل الكويتيـين كـما تنقل أكيـاس البطاطـا إلى العراق، ويسـتورد مواطنـين عراقيـين بسـيارات الشـحن، كـرؤوس البطيـخ، ليزرعهـم في السـالمية والجابريـة والفحيحيـل، ويحـرق السـجلات المدنيـة، وشـهادات ميـلاد الكويتيـين، وعقـود زواجهـم، وجـوازات سـفرهم، وشـهاداتهم الجامعيـة، وسـنداتهم العقاريـة.. ويحولهـم إلى شـعب مـن الهنـود الحمـر..

وباختصـار، يتصـور الرئيـس العراقـي أن بإمكانه أن يشـنق التاريخ، كـما يشـنق معارضيـه، وأصدقـاء طفولتـه، ورفاقـه في الحـزب.. ثـم

يدخـن سـيجاره..

وهـو يتصـور أنـه إذا هـدم مستشـفيات الـولادة.. وأحرق شـهادات الميـلاد.. وقتل أطبـاء التوليد والممرضات.. بـأن الكويتيين لن يتزوجوا.. ولـن ينجبـوا.. ولـن يتكاثـروا.. وأن أرحـام الكويتيـات سـوف تتوقـف عـن العطـاء والإخصاب.

وهـو يتصـور أنـه إذا أحـرق سـجلاتنا المدنية، فسـوف نصبـح أولاداً غـير شرعيـين، ونضيـع أسـماءنا، وألقابنـا.. وملامحنـا.. ولـون بشرتنـا.. وسـواد عيوننـا.. ونضطـر للجـوء إلى ملاجـئ الأيتـام.

وهـو يتصـور أنـه إذا سرقـت نقودنـا ومدخراتنـا وأثـاث منازلنـا، فسـوف نقرفـص أمـام أبـواب المسـاجد مـع أطفالنـا.. لنسـتجدي الصدقـة مـن العابريـن..

وهـو يتصـور أنـه إذا سُرقـت السـاعات مـن معاصمنـا، فسـوف يتوقـف (الزمـن الكويتـي) عـن الـدوران.. دون أن يعلـم أن الكويتـي حيـث كان يسـتطيع أن يخـترع زمنـه.

وهـو يتصـور أن الذاكرة الكويتية سـوف تضعـف وتتلاشى مع الأيام، وأن أبـراج الكويـت سـتصبح كالآثـار القديمـة يتفـرج عليهـا السـياح، ويأخـذون أمامهـا الصـور التذكاريـة.. دون أن يعـرف أن القتيل يحمل في عينيـه صـورة قاتله إلى يـوم القيامة.

وهـو يتصـور أن مراسـيم الضـم والإلحـاق، وتحويلنـا إلى المحافظـة التاسـعة عـشرة في إمبراطورية ميشـيل عفلق هي قوانـين إلهية.. دون أن يـدري أن كل المراسـيم التـي أصدرهـا سـلفه نبوخـذ نـصر غرقت.



# الخارجون من التاريخ

# الخارجون من التاريخ

-1-

في حين تتجه شعوب العالم إلى العيش المشترك (داخل التاريخ) يتجه العرب بحركة معاكسة، وبإصرار لا شبيه له (للخروج من التاريخ).

في حين تحاول أمم أوروبية وأمريكية متعددة الأصول، والتاريخ، واللغات، والثقافات، والحضارات، أن تصبح (أمة واحدة).. تحاول أمتنا العربية ذات الأصول والتاريخ والطبائع، والثقافة، والحضارة.. الواحدة أن تبقى مجموعة من (الأمم والقبائل)، يذبح بعضها بعضاً، ويقتلع بعضها بعضاً.. و(يلغي) بعضها بعضاً..

بعد ميثاق باريس للأمن والتعاون الأوروبي الموقّع بتاريخ 21 نوفمبر 1990، سوف تنهار الحدود السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والنقدية والثقافية لأوروبا، وتتحول أوروبا إلى شارع واحد.. بل إلى بيت واحد.. يسكن فيه الأوروبيون، تحت سقف الحرية، والديمقراطية، والتعاون، والمصالح الاقتصادية المتبادلة.

ميثاق باريس التاريخي، ألغى الحدود، وألغى الحروب، وألغى الأسلحة وألغى العدوان، وانتقل من (مجتمع حربي) يتعامل بالصواريخ، والقنابل النووية، والتعصب الأيديولوجي، إلى (مجتمع حضاري) يحل مشكلاته بالحوار العلمي، والرأي الحر، والمصلحة

المشـتركة، والفكـر البراغـماتي.

ميثـاق باريـس التاريخي بتاريخ 21 نوفمـبر 1990، هو أهم وأخطر انقـلاب في تاريـخ الفكـر الأوروبي، إذ اكتشـفت بـه أوروبـا عبثيـة الحـروب، والنزاعـات المسـلحة، والمطامـع التاريخيـة والجغرافيـة، كما اكتشـفت بعـد خروجها مـن حربين عالميتين مدمرتـين، أن الديمقراطية هـي الحـل الوحيـد لقضايـا هـذا الكوكـب، وأن حريـة الإنسـان هـي الشـجرة الدائمـة الخـضرة عـلى أرض هـذا الكوكب.

الماركسـيون تنازلـوا عـن ماركسـيتهم، واللينينيـون تنازلـوا عـن لينينيتهـم.. والماديـون تنازلوا عـن ماديتهم.. والبرجوازيـون تنازلوا عن برجوازيتهـم.. واليمينيـون تنازلـوا عـن يمينهـم.. وتوصـل المجتمعـون في باريـس إلى معادلـة تسـمح للجميـع بـأن يجلسـوا معـاً على بسـاط السـلام، وأن ينزعـوا مـن رؤوسـهم نهائيـاً فكـرة التدمـير والخـراب الجماعـي، ويسـتبدلوها بفكـرة تأسـيس نظـام عالمـي جديـد يكـون الإنسـان الحـر فيـه مركـز الدائـرة وحجـر الأسـاس.

-2-

في الجانـب الآخـر مـن المشـهد، تبدو الأمـة العربيـة.. وكأنها دخلت في مرحلـة (الكومـا)، فهـي لا تـرى.. ولا تسـمع.. ولا تقـرأ.. ولا تشـعر بهـذا الزلـزال التاريخـي الكبـير الـذي يهز أعمـدة العـالم القديم..

في الجانـب الآخـر، تقـف (الأمـة العربيـة الواحـدة ذات الرسـالة الخالـدة).. في حالـة مـوت غـير معلـن.. فـلا أحاسيسـها الخمسـة

تشـتغل.. ولا (هوائياتها) تلتقط الإشـارات القادمة من المسـتقبل.. ولا عقلهـا قـادر عـلى أن يسـتوعب النبوءات التـي يحملها القـرن الحادي والعـشرون.

(الفكـر القبـلي) مـا زال بصحة جيـدة.. والقبائل لا تـزال تتقاتل على المـاء والـكلأ.. والجاهليـة لا تـزال ترفـض أن تغـادر خيمتها.. لتشـاهد مـا يجـري في مجلـس العمـوم البريطـاني.. أو لتقـرأ عنـوان جريـدة (الإندبندنـت).. عـلى أضعـف الإيمان..

نحـن في مرحلـة انعـدام الـوزن تمامـاً.. ننفعـل ولا نفعـل.. ونتفـرج عـلى مـا يجـري في مـسرح السياسـة الدولية، كـما يتفرج القـروي على مسرحيـة لصاموئيـل بيكيت..

هناك في باريس يلغون الحروب.. ونحن نتلذذ بإشعالها..

وهنـاك في باريـس يقـررون إلغـاء الحـدود الجغرافيـة والاقتصاديـة فيـما بينهـم.. ونحـن نكـدِّس على حدودنـا المتاريـس وأكيـاس الرمل..

وهنـاك في باريـس يقيمـون صرح الديمقراطيـة.. ونحـن نقيـم صرح الديكتاتوريـات والحكـم الفردي..

وهنـاك في باريـس يعتـبرون الإنسـان ثروة حضاريـة عظيمة.. ونحن نعتبر الإنسـان حـذاء قديمـاً..

هنـاك في باريـس يذهبـون بطائـرة (الكونكـورد) إلى القـرن الواحـد والعشريـن.. ونحـن نرجـع عـلى حـمارة عرجـاء إلى القـرن العـاشر..

-3-

إن مـن يتتبـع ردود فعـل الأنظمـة العربيـة تجـاه مـا يحـدث عـلى خريطـة العـالم، ولا سـيما الاتحـاد السـوفييتي ودول أوروبـا الشرقيـة، يتأكـد من شـيئين؛ أولهـما أن العرب لا يقرؤون التاريـخ، وثانيهما أنهم موجـودون خـارج التاريخ..

أحـد الحـكام العـرب سـئل عـن رأيـه في البريسـترويكا السـوفييتية، فقـال: البريسـترويكا هـي مـن صنعنـا نحـن.. ونحـن نعتـبر أنفسـنا أسـاتذة الاشـتراكية في العـالم.. والرفيـق لينـين مولـود عندنـا..

وحاكـم عـربي آخـر، سُـئل عـن الـدروس التـي يمكـن أن يتعلمهـا العـرب مـن الثـورة الشـعبية التـي قوضـت أركان الديكتاتوريـات في دول أوروبـا الشرقيـة.. فقـال: هـذا لا يمكـن أن يحـدث عندنـا.. لأن الحكـم عندنـا من الشـعب وللشـعب، ونظامنا ديمقراطـي مئة بالمئة.. والحريـة كالخبـز في متنـاول جميع المواطنين.. فعـلى أي شيء يثورون؟

وحاكـم عـربي ثالث سـئل، لماذا يسـمح برفـع تماثيلـه وتعليق ملايين النسـخ مـن صـوره في كل الشـوارع، والميادين والمطـارات، والمـدارس، والجامعـات، والدوائر الرسـمية، وعلى كل الباصات، وسـيارات الأجرة؛ فأجـاب بابتسـامة نرجسـية: ومـاذا تريدونـني أن أفعـل.. إذا كان الشـعب يعشقني؟

تلـك عينـات من الأجوبـة الفهلويـة والعبقرية، واللمّاحـة التي يعبر بهـا بعـض حكامنـا عـن انطباعاتهـم الأولى أمـام التغـيرات التاريخيـة المثـيرة التـي هـزت القـارة الأوروبية.

وهـذه الأجوبـة، إذا دلـت عـلى شيء، فإنمـا تـدل عـلى أن كثـيراً مـن أنظمتنـا أنظمـة إلهيـة معصومـة مـن الخطأ.. وأنها ليسـت مسـتعدة

لأن تتعلم شيئاً.. أو تستشير أحداً.. أو تستفيد من تجارب الشعوب الأخرى، ومن ثقافتها السياسية.. ولقد دفعنا، ولا نزال ندفع ثمناً باهظاً لغياب الديمقراطية، فالأنظمة الفردية لم تحمل لنا إلا الخراب والانحطاط والهزائم الكبيرة..

إن أسوأ ما في الأنظمة الفردية، أنها لا تصدق إلا نفسها، ولا تثق إلا بتقارير مخبريها وشرطتها السرية..

والأنظمة الفردية، عبر التاريخ، هي التي أشعلت الحروب الكبرى، وأحرقت المدن، ودمرت الحضارات..

وليس احتلال الكويت على هذا الشكل العشوائي، والوحشي.. والسادي.. سوى إفراز كيميائي للأنظمة الفردية التي تحكم بغير جذور شعبية أو ديمقراطية أو دستورية..

-4-

إن الفكر النرجسي العربي هو أساس كوارثنا القومية، فنحن لا نستطيع أن نعمل على شكل (فريق)، أو مجموعة، أو شركة، أو اتحاد، فالجامعة العربية، منذ تأسيسها عام 1945، لم تكن أكثر من فندق كبير، يسكن فيه اثنان وعشرون نزيلاً.. لا يكلمون بعضهم، ولا يرون بعضهم إلا في غرفة الطعام..

وعندما ذهبنا إلى الأندلس فاتحين، طاب لنا المقام، والخضرة، والماء، والشكل الحسن، فانفصلنا عن مركز الخلافة في دمشق، ووضع كل قائد عربي يده على مدينة من مدن الأندلس، ورفع

علمـه فوقهـا، وتـوزع ملـوك الطوائـف جغرافيـة الأندلس، فهـذا أخذ غرناطـة.. وهـذا أخـذ قرطبـة.. وهـذا أخـذ إشـبيلية.. وهـذا أخـذ طليطلـة.. ولم يـأت عـام 1492 ميلاديـة حتـى جـاء الملـوك الإسـبان بقيـادة فردينانـد وإليزابيـث، وكنسـوا ملـوك الطوائـف ملـكاً ملـكاً..

-5-

ولا بـد أن نعـترف أن فكـرة (الدولـة) عندنـا لا تـزال فكـرة غيبيـة وهشـة، فالدولـة كانت في أغلـب الحالات ميراثاً شـخصياً، أو عائلياً، أو دينيـاً، أو عسـكرياً، أو انقلابيـاً..

وبرغـم أننـا نعيـش منـذ مئـات السـنين، في مـدن كبـيرة، لكننـا لم نسـتوعب حتـى الآن فكـر المدينـة، وقوانـين المدينـة، وتنظيـمات المدينـة.. ولا نـزال نواجـه قضايانـا السياسـية، والاجتماعيـة والدوليـة بمنطـق الباديـة وشرائـع الباديـة.

والغـزو العراقـي للكويـت لا علاقـة لـه ببغـداد العاصمـة التـي شـهدت حضـارة مـا بـين النهريـن، ولا علاقـة لـه بحضـارة العباسـيين ولا الآشـوريين، ولا الكلدانيـين، ولا البابليـين، ولا السـومريين، وإنمـا هو عمـل عشـائري صرف، قـام به شـيخ عشـيرة عراقـي يخيـط ثيابه لدى بيـار كاردان، ويشـتري ربطـة عنقـه مـن عنـد (لانفـان) في باريـس.

الهجمـة العراقيـة عـلى الكويـت، ليسـت هجمـة عـلى المـاء.. لأن لـدى العـراق دجلـة والفرات.. وليسـت هجمـة على الـزرع.. لأن لدى العـراق نخـلاً كثـيراً.. وليسـت هجمـة عـلى النفـط.. لأن الاحتياطـي

النفطـي العراقـي من أكـبر احتياطيات النفط في العـالم، ولكنها هجمة رجـل وجـد نفسـه فجـأة عاطـلاً عـن العمـل، بعـد أن انتهـت الحرب العراقيـة الإيرانيـة، واكتشـف أن لديـه مليـون جنـدي ليـس لديهم ما يعملونـه في العـراق سـوى الجلـوس في المقاهـي.. أو القيـام بانقـلاب ضـد النظام..

إن احتلال الكويت هو عمل من أعمال رجل لا يستشـير إلا نفسـه، ولا يفكـر إلا بمجـده الشـخصي.. أمـا حـرق نصـف إسرائيـل فهـو ليس أكـثر من حقنـة مورفـين لتخدير الشـارع العربي.

-6-

العـالم يـزداد تلاحـماً، وتداخـلاً، وانصهـاراً.. ونحـن نـزداد نرجسـية، وأنانيـة، وعزلـة، وتقوقعـاً..

ألمانيـا الاتحاديـة تحتضـن مـارك ألمانيـا الشرقية، وترفـع قيمته حتى يصـير معـادلاً لقيمـة المـارك الاتحـادي، والنظـام العراقـي بعـد غـزو الكويـت، يحـول الدينـار الكويتي إلى قصاصـة جريدة قديمـة. الاتحاد السـوفييتي ينسـحب من أفغانسـتان مـع الاعتذار.. والجيـش العراقي يلتهـم دولـة الكويـت في صبيحـة الثـاني مـن أغسـطس 1990 كأنهـا بيضة مسـلوقة..

مارغريـت تاتشر اسـتقالت من رئاسـة حزب المحافظين ومن رئاسـة الـوزراء في بريطانيـا لتفسـح المجال أمام أصحاب الـرأي المخالف حتى يتسـلموا مقاليد السـلطة.. ونحن نتمسك بالسـلطة بأيدينا وأرجلنا.

الطاغيـة تشاوشيسـكو، رماه الشـعب الرومـاني في مزبلة التاريخ، في حـين يتصـور الطغـاة العـرب أن بوخارسـت بعيدة جداً عـن قصورهم المحروسـة جيـداً.. وأن الدهاليـز التـي حفروهـا تحـت الأرض سـوف تطيـل أعمارهم..

الإمبراطـور بوكاسـا أكل نصف أطفـال المدارس في أفريقيا الوسـطى، لأنـه كان يحـب لحـم التلاميـذ، ولحـم الحريـة، ولكـن شـعب أفريقيا الوسـطى، سـوف يظـل وراءه حتـى يحـول جثتـه الضخمـة إلى طعـام للغربان..

-7-

العـالم كلـه بعد ميثـاق باريس التاريخي يسـير باتجـاه الديمقراطية، والحريـة، والسـلام، ونحـن بـكل أسـف لا نسـمع صفـير القطـار، ولا نكـترث بسرعتـه الجنونية..

إننـا نجلـس عـلى قضبـان السـكة الحديـدة كالمسـطولين، دون أن نـدري أن قطـار القـرن الواحـد والعشريـن سـوف يطحـن عظامنـا إذا بقينـا عـلى غفلتنـا وغيبوبتنـا.

ففـي عـالم يتجه نحـو الديمقراطية، لا مـكان للأنظمـة الأوتوقراطية، وفي عـالم يتجـه نحـو تدمـير أسـلحة القتل الجماعـي، لا مكان لرؤسـاء المافيـات، والعصابات، وقطّـاع الطرق.

وفي عـالم يؤمـن بالحـوار الحضـاري، لا مـكان للملاكمـين ولاعبـي الكاراتيـه.

وفي عـالم جديـد ينحنـي أمام حرية الإنسـان، لا مـكان فيه لأي نظام يقهر الإنسـان، ويسـتعبده، ويحوله إلى فتافيت إنسـان.

-8-

إن ديكتاتوريـة الفـرد، وحكـم الشـخص الواحـد، يتسـاقطان في كل مـكان في العـالم، والشـعوب لم تعـد أغنامـاً تسـاق إلى الذبـح وهـي خائفـة مـن جزارهـا.

التحـولات التـي قلبـت المفاهيـم والأيديولوجيات والأفـكار الخاطئة يجـب أن تحولنا..

كل شيء يتحـرك مـن حولنـا ونحـن واقفـون.. وكل شيء يسـتيقظ ونحـن نائمـون.. ومـا لم ندخـل (نـادي التاريـخ) مع الداخلين، فسـوف نبقـى خـارج التاريخ.



# بانتظار غودو

# بانتظار غودو

لا يـزال الذيـن قطعـوا تذاكـر الدخـول إلى مسرح الخليـج، ينتظرون منـذ شـهر أغسـطس المـاضي، انفـراج السـتارة عـن مسرحيـة (بانتظار غـودو).. للكاتـب الإيرلنـدي الكبـير صاموئيـل بيكيت.

وإذا كان النقـاد المسرحيـون قـد اختلفـوا فيـما بينهـم عـلى هويـة غـودو.. ومدلولـه المسرحـي والفلسـفي والرمـزي في مخيلـة الكاتـب الإيرلنـدي، فبعضهـم قـال إنـه المنقـذ والمخلـص، وبعضهـم قـال إنـه العبـث.. وبعضهـم قـال إنـه الـلاشيء.. وبعضهـم قـال إنـه الـذي يـأتي ولا يـأتي..

وإذا كانـت هنـاك إشـكالية حـول شـخصية (غـودو) لـدى المثقفـين الأوروبيـين، فـإن (غـودو) الـذي ننتظـره في الخليـج لا يحتمـل الرمـز والتأويـل والتفسـيرات الميتافيزيقيـة..

غـودو الـذي ننتظـره.. ليـس مجهـول الاسـم واللقب والجنسـية، بل هـو أمريـكي أبـاً عـن جد..

وإذا كان (غـودو) صاموئيـل بيكيـت.. يبقـى دائمـاً خلـف الكواليس، ولا يظهـر عـلى خشـبة المـسرح أبـداً.. بـل يبقى مجـرد رمـز واحتمال، فـإن (غـودو الأمريـكي) يظهـر عـلى شاشـات التلفزيـون دون انقطاع، ويتكلـم مـع الصحافـة، ولـه مستشـارون، وخـبراء، وناطقون رسـميون باسـمه، وأسـطول إعلامـي لـه أول وليس لـه آخر.

هـذه الصراحـة لـدى (غـودو الأمريـكي) صراحـة جميلـة، ومطلوبة، وتنبـع من جـذور ديمقراطية أصيلة، ومنذ الفصـل الأول من المسرحية وقـف غـودو أمام المتفرجـين، وقال بصـوت مرتفع:

«أنـا المنقـذ.. والمخلـص.. ولسـوف أعيـد الكويـت ملفوفـة بشريـط مـن القصـب.. مـع بابـا نويل».

طبعـاً.. الكويتيـون صفقـوا تصفيقـاً حـاداً لــ «غـودو»، وطلبـوا من زوجاتهـم أن يحزمـن الحقائـب اسـتعداداً للرجـوع إلى الأندلـس.. قبـل كريسـتماس.. ونحـن الآن في نهايـات شـهر ديسـمبر، والأطفـال الكويتيـون يتطلعـون إلى بابـا نويـل الجالـس بردائـه الأحمـر، ولحيته البيضـاء في واجهـات المحـلات الكبرى في لندن، ويسـألونه: يـا عمنا بابا نويـل متـى تضعنـا في كيسـك.. وتأخذنـا معـك إلى بلادنا؟.. فيتسـاقط الدمـع عـلى لحيتـه البيضـاء.. ولا يجيـب.

ربمـا كان (غـودو الأمريـكي).. معـذوراً في صـبره وطـول بالـه، لأن طبيعـة النظـام في الولايـات المتحـدة ورقابـة المؤسسـات التشريعيـة والدسـتورية الصارمـة تقيـد حرية قـراره، ولا تترك له إلا هامشـاً ضيقاً للتصرف.

ولكـن مـا نأخذ على غـودو الأمريكي هو الانفعـال السريع، والهبوط السريـع، وزئبقية المواقف.

إن الخـط البيـاني المترجـرج والمتعـرج للمواقـف الأمريكيـة منـذ انفجـار أزمـة الخليـج حتـى الآن، أوقـع العـالم في الحـيرة والشـكوك ودوامـة الكلـمات المتقاطعـة.

والـذي يدعـو إلى الدهشـة أن العـالم بعـد انتهـاء الحـرب البـاردة، وخـروج الاتحـاد السـوفييتي مـن لعبـة الأمـم، وأصبـح بيـد (غـودو

الأمريـكي).. بعـد أن خـرج (غـودو السـوفييتي) مـن حلبـة المصارعـة، وبالتـالي فـإن الملعـب الـدولي صـار ملـكاً للولايـات المتحـدة وحدها.. تتـصرف فيـه كـما تشـاء، ودون أي منـازع.

ومثـل هـذا الوضـع (الممتاز) و(الاسـتثنائي) أعطى الولايـات المتحدة امتيـازاً عالمياً وحصريـاً (EXCLUSIVE) يسـمح لهـا بممارسـة جميع ألعـاب القـوى والجمبـاز فوق حلبـة فارغة..

يضـاف إلى هـذا الامتيـاز، عـشرات القـرارات الدوليـة، وتفويـض مطلـق مـن مجلـس الأمـن باسـتعمال القـوة إذ لم يسـتجب العـراق لإرادة المجتمـع الـدولي..

ولكـن الـذي حصـل أن الملاكـم الكبـير الـذي كان يريـد أن يسـقط النظـام العراقـي بالضربـة القاضيـة، تـرك الحلبـة بصـورة مفاجئـة ليـشرب زجاجـة بيبـسي كـولا مع طـارق عزيز وزيـر خارجيـة العراق.

●●●

إننـي لم أكـن أتصـور أن كل هـذه الـ (أرمـادا) التي تتجمـع في مياه الخليـج، وكل هـذه البنايـات البحرية العائمة، وكل هؤلاء الماريشـالات والجـنرالات والكولونيـلات، وكل (جـرذان الصحـراء).. جـاؤوا ليشربـوا البيبـسي كـولا.. عـلى شرف امـرئ القيس..

ولكـن مسلسـل الأحـداث والتصريحـات، والتصريحـات المضـادة، والغضـب والرضـا، والقبـول، والريـاح الشـمالية والريـاح الجنوبيـة، والأمـواج العاليـة والأمـواج الواطئة، والـكلام العصبي والـكلام الرقيق، جعلتنـا نشـك بذكائنـا، ومنطقنـا، وفطنتنـا، ونحـس بأننـا في حـمام تـركي.. طاسـة بـاردة وطاسـة سـاخنة.

•••

ولقـد تعودنـا -نحـن العـرب- أن نـرى ظاهـر الأشـياء، وقشرتهـا الخارجيـة دون أن نتعمـق فيـما وراء الأشـياء.. ودون أن ننتبـه إلى مـا يجـري تحـت أقدامنـا مـن ميـاه جوفيـة..

إن كثـيراً مـن الأشـياء التـي تجـري مـن حولنا عـلى مسرح السياسـة الخارجيـة لا تدعـو إلى الارتيـاح..

فزيـارة شـامير، قبـل وصول طـارق عزيز إلى واشـنطن، غـير مريحة، ولا سـيما حـين يؤكـد شـامير لمراسـلي الصحـف الأمريكيـة ووكالات الأنبـاء أن الرئيـس جـورج بـوش طمأنـه إلى أن قضية الخليـج لن تحل عـلى حسـاب إسرائيل..

كـما أن لقـاء شـامير بـإدوارد شـفرنادزه، واتفاقهـما عـلى تطبيـع العلاقـات السـوفييتية الإسرائيليـة في القريـب العاجـل، سـوف يزيـل آخـر العقبـات في طريـق هجـرة اليهـود السـوفييت الشـاملة إلى فلسـطين المحتلـة..

ولقـد أصبـح معروفـاً لدينا بعـد تجاربنا الطويلة أن دخـول إسرائيل عـلى الخـط.. ينذر بشرور خطـيرة.. وبتعقيد كل الحلـول الممكنة.

وإذا كانـت القضيـة اللبنانيـة بقيـت بـلا حـل حتـى الآن.. وإذا كان السـلام اللبنـاني سـوف يبقـى مسـتحيلاً طالمـا أن إسرائيـل مزروعـة في خـاصرة لبنـان الجنوبيـة.. وإذا كان الحوار الأمريكي – الفلسـطيني قد فشـل فشـلاً ذريعـاً.. فـكل هذا مـن بـركات السـيدة إسرائيل..

إن إسرائيل هي لغم موقوت مزروع تحت أي قضية عربية..

وهـذا يدفعنـا إلى الحـذر والحيطـة وإلى مراقبـة تحـركات الميـاه الجوفيـة تحـت الأرض العربيـة..

●●●

إنني ككاتبة أستعمل حواسي الخمس، وأقرأ جميع ما يقع في يدي من كلام المعلقين والمحللين، وأتابع تقارير معاهد البحوث الإستراتيجية، واستفتاءات معهد (غالوب)..

ولكنني أعترف لكم بأنني لا أفهم في لعبة الكراسي الموسيقية، ولا أعرف شيئاً عن تحركات المياه الجوفية.. ولا أؤمن بالتنجيم في علم السياسة..

أنا، مثل الملايين من أفراد الشعب العربي الطيب، أحاول أن أفهم، وأن أستعمل عقلي لمعرفة ما يدور في رأس (غودو)..

ولكنني أعترف لكم بأنني لا أفهم كلمة واحدة من مسرحية اللامعقول، التي تعرض بنجاح كبير على مسرح الخليج..

ثم أعترف لكم بأنني بعد مرور أكثر من أربعة أشهر على عرض المسرحية، وبعد أن شاهدتها خمسين مرة.. لم أستطع أن أفكك رموز اللغة التي يتكلم بها (غودو).. ولا أن أفهم ما يريد..

نحن العرب طيبون، وبسطاء، ومقتلنا يكمن في أننا نعشق الفصاحة.. ولو كانت هذه الفصاحة باللغة الإنجليزية.

ولقد كان كلام الرئيس بوش في بداية الأزمة.. قوياً، وفصيحاً وقاطعاً كالسيف.. ثم بدأ الكلام يلين.. ويشف.. ويترقرق كجدول ماء..

طبعاً أنا لست ضد الرقة واللطف والكلام الجميل، ولكن الكلام اللطيف مع خشبة.. لا يجدي شيئاً..

ثم إنني لست ضد اللجوء إلى الأقنية الدبلوماسية.. ولكن الدبلوماسية مع رجل يحمل في يده قنبلة ويهدد بتفجير العالم.. قد لا يكون السلوك المثالي..

الرئيـس بـوش صار يقول شـعراً.. ونحن العرب ضعفـاء أمام عبقرية الشـعراء وإيقاع القصائد..

والـذي أخشـاه أن تضيـع الكويت.. تحـت أقدام شكسـبير، وت.إس إيليـوت، ووولـت ويتمان.. وإدغاربـو، والخليل بن أحمـد الفراهيدي.

●●●

قـد يكـون للأمريكيـين طبيعتهـم في العمـل، وقـد تكـون لهـم إسـتراتيجيتهم الخاصـة في النظـر إلى قضايـا العالم، وقـد يكون نظامهم الديمقراطـي عائقـاً في اتخـاذ القـرار، ولكـن الأكيـد أن الديمقراطيـة لم تكـن يومـاً عـثرة في وجـه المواقـف الصعبـة.

فمارغريـت تاتـشر كانـت رئيسـة وزراء دولة عريقـة في ديمقراطيتها لمـدة أحـد عشر عامـاً، ولكنهـا احترفت المواجهـة في القضايـا العالمية.. ولم تحـترف قول الشـعر..

إن ثمـة شـواهد في التاريـخ السـياسي الأمريـكي المعـاصر، لا تدعو إلى الارتيـاح، وعـلى رأس هذه الشـواهد القضيـة المعروفة باسـم (إيران - جيـت)، والتعامـل الأمريـكي مع الحـرب الأهليـة في لبنان..

لذلـك فـإن عـلى العرب ألا يضعـوا أرجلهـم في ماء بـارد، وألا يضعوا بيضهـم في سـلة واحدة..

فالاعتـماد الـكلي والمطلق عـلى خدمات الدول العظمـى، فيه الكثير مـن المحاذيـر، لأن هـذه الدول لهـا أهدافها الإسـتراتيجية والاقتصادية البعيـدة، ولا تخدم أحـداً مجاناً.

العـرب إذن معـذورون إذا تشـككوا، ولقـد قـال الفلاسـفة قديماً: إن الشـك هـو الطريـق إلى اليقين.

وعـلى العـرب إذا أرادوا البقـاء، أن يبقـوا دائمـاً حذريـن، ومتحفزين ومسـتنفرين، وأن يحاولـوا قـدر الإمـكان أن يعتمـدوا عـلى جهدهـم الـذاتي، وتجميـع قواهـم المشـتتة، ومواردهـم الكبـيرة، وطاقاتهـم البشريـة الهائلـة.

قـد يكـون هـذا الـكلام كلاسـيكياً، وتحصيـل حاصـل، وقـد تكـون الدعـوة إلى تجمـع الإخـوة الأعداء دعوة رومانسـية، وطوباوية لا تجد من يسـمعها:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

لكـن السـيف المرفـوع فـوق رؤوسـنا جميعـاً.. لم يعـد يسـمح لأحـد بـأن يتسـلى في عـدّ نجـوم السـماء.. أو أوراق الشـجر.. أو أرقـام السـيارات..

لم يعـد لدينـا الوقت الـكافي لنحصي عدد عظـام رقبتنـا.. لأن رقابنا.. طائرة.. طائـرة.. طائرة..

فهل سيأتي كريستماس القادم.. وأنتم بخير!!..

# رامبو.. يُصوِّر فيلما
# في الخلَيج

## رامبو.. يُصوِّر فيلماً في الخليج

ليس هذا المقال عن فن السينما، كما قد يوحي العنوان، بقدر ما هو مقال عن السياسة التي تحولت مع الأيام إلى سينما.. وإلى فيلم طويل متعب للعيون والأعصاب..

العنوان مقتبس من تصريح لوزير الدفاع البريطاني الأسبق دينيس هيلي من حزب العمال، قال: إن الرئيس الأمريكي يتعامل مع أزمة الخليج بمنطق (رامبو).

ورامبو كما تعلمون هو فيلم أمريكي مشهور حاول فيه الممثل سيلفستر ستالون أن يعيد الاعتبار إلى المقاتل الأمريكي في حرب فيتنام.

والواقع، أن المشهد الخليجي لا يزال، بعد خمسة أشهر من الاحتلال العراقي للكويت، مشهداً سينمائياً بكل ما ينطوي عليه فن السينما، من ديكورات، وإضاءة، ومكياج، وملابس تنكرية، ومؤثرات صوتية، وخدع سينمائية.

وإذا كانت الأفلام عادة لها بداية ولها نهاية، ولها سيناريو مكتوب وعقدة درامية يحاول المؤلف أن يجد حلاً لها في نهاية الفيلم، فإن فيلم الخليج يخرج عن قواعد الفن السينمائي، فله بداية وليس له نهاية، ولا يعتمد على أي سيناريو جاهز، أو نص مكتوب، لذلك ترى الممثلين يخرجون على النص.. و(يرتجلون) نصوصاً من عندهم

هــي أقرب للهلوسـة، والتشـنجات العصبية.

خمسـة أشـهر مـرت، ولا يـزال الارتجـال السـياسي والإعلامـي سـيد المواقـف، ولا يـزال (الـردح التلفزيـوني) مسـتمراً عـلى جميـع الأقنيـة بـين رامبـو الأمريـكي.. ونبوخـذ نـصر العراقـي..

الأول يسـتعرض عضلاتـه عـلى طريقـة محمـد عـلي كلاي.. والثـاني يـبرم شـواربه عـلى طريقـة الحجـاج بـن يوسـف الثقفـي..

أي أن الحـرب بـين رامبـو ونبوخـذ نـصّر.. لم تخـرج حتـى الآن عـن كونهـا (خناقـة) تشـابه الخناقـات التـي تجـري بـين (فتـوات) مـصر.. أو (قبضايـات) لبنـان، لا تتجـاوز الاشـتباك بالأيـدي أو اسـتخدام الخيزرانـات.. أو الشـتائم..

وفي مثل هذه الخناقات السـينمائية لا يسـقط أحد قتيلاً، أو جريحاً، ولكـن الجرحـى والقتـلى عـادة مـن عابـري السـبيل، أو وسـطاء الخير الذيـن يحاولـون فك الاشـتباك بـين المتقاتلـين. وإذا كانـت أمريكا هي أم السـينما، ورائـدة هـذا الفن العظيـم، باعتراف الجميـع، فإن جميع مـن شـاهدوا فيلمهـا الأخـير عـن أزمـة الخليـج، مـن نقاد سـينمائيين، وخـبراء في شـؤون المـسرح، أجمعـوا عـلى أن مـا شـاهدوه لم يكن أكثر مـن (سـينما أونطـة)، كما يقول إخواننـا المصريون عن الأفلام الفاشـلة حواراً.. وإخراجـاً.. وتمثيلاً.

وإذا كانـت الولايـات المتحـدة متقدمـة ورائـدة في صناعة السـينما، فليـس مـن الـضروري أبـداً أن تكـون متقدمـة في صناعـة السياسـة الخارجيـة، وإدارة أزمـات العـالم، فالسـينما شيء.. وتقرير مصائر الأمم شيء آخـر..

والمعـارك الحربيـة عـلى الشاشـة شيء.. والمعـارك عـلى الأرض شيء

آخـر.. والانتصارات في (هوليـود).. أسـهل بكثـير مـن الانتصـارات في الصحـارى العربيـة.

إن الأفـلام الناجحـة لا تسـتمد عناصرهـا مـن الخيـال، والخرافـة، والبطـولات الوهميـة فحسـب، وإنمـا تأخـذ أهميتها مـن أرض الواقع، وتحليـل عنـاصره السياسـية والاجتماعيـة والنفسـية، وقـراءة تاريـخ الشـعوب.

لقـد قاتـل رامبـو (سـينمائياً).. حتـى انتـصر عـلى أعدائـه جميعـاً.. واجـترح من الخـوارق، والعجائب، والمعجزات، مـا يعجز عنه أي كائن بـشري، وقـام بمهـمات حربيـة يعجـز حتـى الجن عـن القيـام بمثلها..

وقـد أدهشـت مغامـرات رامبـو محبـي السـينما في كل مـكان، إلى الحـد الـذي دفـع الرئيـس الأمريـكي رونالد ريغـان إلى اعتبـاره نموذجاً للبطـل القومـي الأمريكي.

وعندمـا اشـتعلت أزمـة الخليـج، وطـارت دولـة الكويـت مـن الخريطـة، وأرسـلت أمريـكا بوارجهـا البحريـة، وآلتهـا العسـكرية الجبـارة إلى المنطقـة، عـادت إلى أذهاننـا عـلى الفـور صـورة رامبـو بجسـمه الأولمبـي، وعضلاتـه المفتولـة، وعينيـه اللتـين يقـدح منهـما الـشرر..

وتصورنـا أن رامبـو سـوف يخـرج (الزيـر مـن البـير) كـما فعـل في الفيلـم.. ويطحـن الدبابـات بقبضـة يـده.. ويـأكل المعتديـن عـلى سـيادة الكويـت بـلا ملح.. ويعيـد الكويتيين إلى ديرتهـم.. وديوانياتهم المهجـورة..

ولكـن الآمـال ما لبثـت أن تراجعت.. واكتشـفنا أن رامبو الذي يأكل الزجـاج في إسـتوديوهات هوليـود.. هـو غـير رامبو الذي يـأكل الجراد

المشوي في الربع الخالي.. كما اكتشفنا أن البطولات التي يصنعها مخرجو الأفلام في شركة مترو غولدين ماير.. تختلف تماماً عن البطولات التي يصنعها مركز الدراسات الإستراتيجية في البنتاغون.

•••

لماذا غامت صورة رامبو الأمريكي في الأذهان؟

ولماذا بدأ الكويتيون المتناثرون كالغبار على سطح الكرة الأرضية، يضجرون من رتابة الفيلم.. وعدم كفاءة الممثلين، وتشعب الحوار، وهذا التناقض الدراماتيكي بين القادة العسكريين حول كفاءة القوات الأمريكية في الخليج، وجاهزيتها للقتال، فهذا يريد القتال في الشتاء.. وذلك يريده في الربيع.. والثالث يريده في الخريف.. والرابع لا يؤمن بالحرب في أي فصل من فصول السنة الميلادية.. أو الشمسية.. أو القمرية.. أو الصينية.. وإنما يريد أن يرجع في أقرب فرصة إلى بلده.. ليأكل وجبة سريعة عند (ماكدونالد)..

ثم تأتي أخبار لوجستية من جبهة الخليج لتزيد الأمر عبثية وسخرية، قائلة إن المعدات الإلكترونية المتطورة التي حملتها معها القوات المشتركة لم يناسبها الطقس الحار، والغبار الصحراوي، والعواصف الرملية.. فتحولت إلى أجساد معدنية، وأكوام من الخردة، لا تستجيب لتوسلات وأوامر الكومبيوتر.. بحيث صار الصاروخ يصعد إلى أسفل.. والطائرة العمودية تطلع ولا تنزل.. والرادارات لا تعرف مكان النجوم والعصافير.. وحاملات الطائرات بحاجة إلى من يحملها.. والمدرعات أصبحت بيتاً للعقارب والثعابين.

وقد تكون هذه التقارير جزءاً من الحرب النفسية.. ولكن مهما

كانت نسبة الصدق فيها، فإنها لا تدعو إلى البهجة والانشراح.

هذا القلق النفسي، والعسكري، والإستراتيجي لدى رامبو هو الذي أعطى نبوخذنصّر العراقي القدرة على المناورة والمماطلة، واللعب بالوقت، والتشكيك بقدرات رامبو على تحقيق أي انتصار حربي.

ويبدو أن نبوخذنصّر، قد اكتشف نقاط الضعف في جسد القوات الأمريكية والأوروبية المشتركة، فبدأ يتحدث بلغة الكيمياء، والجراثيم، والأوبئة، والأرض المحروقة، بحيث لا يبقى من الخليج حجر فوق حجر، ولا يبقى من آبار النفط قطرة واحدة يستفيد منها الغرب في تشغيل مصانعه، والمحافظة على مستواه الحضاري.

ولما كانت الولايات المتحدة وحليفاتها الغربيات قد جاءت إلى الخليج لحماية مصالحها الاقتصادية أولاً.. وتأمين مخزونها النفطي ثانياً.. وتحرير الكويت عاشراً.. فلا بد قبل اتخاذ قرار الحرب من التدقيق في حساب الربح والخسارة، ثم إن الحديث عن حجم الخسائر البشرية التي سوف تتكبدها القوات المشتركة في الساعات الأولى من اندلاع الحرب، لا بد له من أن يُحدث ردة فعل عميقة في المجتمع الأمريكي والأوروبي لا يمكن للحكومات أن تتجاهلها.

من هنا كانت حيرة (رامبو).. وقلقه.. وتردده في اتخاذ القرار.. ومن هنا كان عناد نبوخذنصّر.. وغروره.. وتشبثه بأفكاره ومواقفه، وإصراره على إحراق العالم، قبل أن تصل النار إليه.

إن الحوار الجاري بين رامبو الأمريكي.. ونبوخذنصّر العراقي هو في حقيقته حوار بين مدير مصرف ومقامر..

مدير المصرف يحسبها بالدراهم والبنسات والملاليم، ويتقاضى

مـن زبائنـه الأتعـاب وكلفـة الدفـاع عـن نفـط الخليـج الـذي لـه منه حصـة الأسـد، ويقـدم فواتـير يومية عـن كل زجاجة كوكا كـولا يشربها جنـوده في الخليج..

والمقامـر.. لا يعـرف شـيئاً من جدول الجمع والطرح والقسـمة، فهو قـد اسـتولى بالمسـدس والمدفـع الرشـاش عـلى جميـع بنـوك الكويت، وكـسر خزائنهـا، ووضـع أرصدتهـا في جيبـه، وبالتـالي فهو ليـس بحاجة إلى أي مستشـار مـالي، أو أي محاسـب قانوني..

رامبـو.. لديه كونغرس، ومجلس شـيوخ، وقوانين فيدرالية.. تحاسـبه عـلى كل غلطة..

والرئيـس صـدام حسـين.. لا يستشـير سـوى صـدام حسـين.. وعندما يلتقـي بأعضـاء مجلس قيـادة الثـورة، أو القيادة القوميـة أو القطرية لحـزب البعـث، فإنـه يلتقـي بعشريـن أو ثلاثـين نسـخة مـن صـدام حسـين يشـبهونه كالتوائـم.. حتـى ليصعـب عليـك أن تفرق بـين وزير الدفـاع، أو وزيـر الخارجية، أو وزير الإعـلام، أو وزير الداخلية، فكلهم مسـحوبون عـلى الآلة الناسـخة..

وهكـذا فـإن الكويـت، واقعة بـين نارين: نار صاحـب المصرف الذي لا يفكـر إلا بالكمبيوتـر ولا يحـارب إلا بالكمبيوتـر، ولا يرسـل جنديـاً واحـداً إلى الخليـج إلا بعـد قبـض الفاتورة مـع فوائدها.

ونـار المقامـر، الـذي يقود سـيارة مفخخـة ووراءه في المقعد الخلفي مئتـا مليـون عربي، لا يعرفـون إلى أين؟

الكويتيـون الذيـن ودعـوا سـنة 1990 وهـم في منافيهـم، يشـعرون أن بلادهـم قـد تحـرّرت (سـينمائياً).. أما تحرير الأرض فـلا يزال علمه عنـد اللـه.. وبانتظـار الجـنرال رامبو..

# صواريخ لا عقل لها..

# صواريخ لا عقل لها..

صواريـخ (الحسـين) و(العبـاس) التـي يطلقهـا النظـام العراقـي، في حربـه الانتحاريـة، أضاعـت عقلها السـياسي، والإسـتراتيجي، والقومي، فلـم تعـد تميـز بـين اللـون الأبيـض واللـون الأسـود، وبـين المبـاح والمحظـور، وبـين المعقـول واللامعقـول.

لقد تساوى لديها الماء والحجر..

وتساوى العرب والكيان الصهيوني..

وتساوت المدن التي تعبد الرحمن، والمدن التي تعبد الشيطان..

وإلا فمـن كان يصـدق أن مطلـق الصواريـخ قـد أصيـب بعمـى الألـوان، فلـم يعد يفـرق بين مدينة تـل أبيب، ومدينـة الرياض.. وبين مدينـة حيفـا ومدينـة الظهران.. وبين سـكان حـارة (اليهود).. وسـكان (حارة المسـلمين).

وإذا كان صـاروخ (الحسـين) يريـد أن ينتقـم مـن إسـحق شـامير.. فلـماذا يحـاول قتـل ذريـة الحسـين؟؟

وإذا كان يريـد أن يصيـب حائـط المبـكى.. وقبر دافيد بـن غوريون.. فلـماذا يسـتهدف قـبر الرسـول محمد بن عبـد الله؟؟

وإذا كانـت الكويـت هـي ابنـة العـراق الشرعيـة التـي طـال غيابها عـن الوطـن الأم، فلـماذا أمـر النظـام العراقـي بإشـعال النـار في آبـار النفـط ومصافيـه في الكويـت؟

وهل ثمة أب في الدنيا يضرم النار في ثياب ابنته الغالية؟؟

لقـد كشـفت حرب الخليـج عن التناقـض الصارخ بـين الأيديولوجية والتطبيـق، وبـين الفكر والسـلوك، وبين النظرية والممارسـة.

فالنظـام العراقـي الـذي أطلـق في بدايـة الأزمـة عشرات الشـعارات البراقـة، وغلّفهـا مـرة بالفكـر الوحـدوي، ومـرة بالبرقـع الدينـي، ومرة بالجهـاد الإسـلامي، لم يلبـث أن انقلـب في السـاعات الأولى من الحرب عـلى كل الشـعارات التـي طرحهـا لكسـب الشـارع العربي والإسـلامي، ووجّـه صواريخه بالعدل والمسـاواة إلى جميع الاتجاهـات، والعواصم، دون تمييـز بـين الأهـداف الصهيونية، والأهـداف العربية والإسـلامية..

وبالتـالي، فـإن العـرب تلقـوا مـن صواريخ النظـام العراقـي أضعاف مـا تلقتـه إسرائيل، مـن هدايـا المـوت والدمار.

إنـه لم يحـدث في التاريـخ العـربي أن ضاع الصـواب، وانطفـأ العقل، ومـات البـصر والبصـيرة، كما يحـدث في هـذه الأيام.

لم يحدث أبداً، أن يشرب العربي من دم العربي حتى يسكر..

وأن يحرق العربي جسد أخيه العربي، ويتلذذ برائحة الشواء..

فالصواريـخ العربية تسـقط فـوق رؤوس العـرب، والمدافـع العربية تـدك عواصمهـم، والمنطقـة كلهـا كرة مشـتعلة تتدحرج نحـو الهاوية، والإنسـان العـربي مسـحوق كالفـأرة بين أقـدام المقاتلين..

هذا هو الخراب الكبير الذي لا خراب بعده..

وهذا هو الموت الأخير، الذي لا قيامة بعده..

أية حرب هذه.. تلك التي غطسـنا فيها النظام العراقي رغم أنوفنا؟

هل هي حرب لمجد العرب، أم هي حرب لكسر رؤوسهم؟

هل هي ولادة جديدة للأمة العربية، أم هي بداية لانقراضها؟

هـل هـي عمـل توحيـدي، أم هـي عمـل تخريبـي، وتجزيئـي،

وانفصالي من الطراز الأول؟

هل هي معركة الغرور القومي، أم معركة الغرور الشخصي؟

وأخيراً، هل هي معركة تاريخية -كما يقول الذي أشعلها- أم هي معركة لمحونا من كتاب التاريخ؟

إن العراق بلد عربي، عريق، ومتحضر، وحبيب علينا ككل الدول العربية، فلماذا وضعه النظام العراقي في مرمى النار؟.. ولماذا تسبب في إحراق مدنه، ومصانعه، واقتصاده، وثرواته، ومشاريعه التنموية، وطموحه العلمي، ونهضته العمرانية وأحلامه الحضارية الكبرى التي كانت جزءاً من أحلامنا لدخول القرن الواحد والعشرين؟ وليس ثمة عربي واحد يشمت بسقوط العراق، فهو جزء لا يتجزأ من كتاب التاريخ العربي الكبير.

وإذا كان رجل عراقي واحد قد ركب رأسه، واعتدى بقوة السلاح على أهله وأبناء عمومته، واستباح سيادتهم، وبيوتهم وأرزاقهم، فإن هذا الرجل ونظامه هو الذي يحاسب على فعلته.

أما إسرائيل فهي الرابحة الأولى في حرب الخليج.

إنها تتلقى صواريخ (سكود) بفرح وشوق عظيمين، كأنها تتلقى قالباً من الحلوى، أو باقة من الأزهار..

فما دام كل صاروخ يسقط عليها، يدرُّ عليها مليار دولار، فلماذا ترفض نعمة النظام العراقي عليها؟

وما دامت الثمار الطازجة كلها تسقط في سلة الكيان الصهيوني، وما دام العالم كله أصبح مقتنعاً بأن إسرائيل ليست سوى حمامة مسكينة ومسالمة وقعت بين مخالب العرب، وما دامت القضية الفلسطينية قد تراجعت إلى الوراء.. وثورة الحجارة قد ضربت على رأسها.. وإقامة الدولة الفلسطينية أصبحت في عالم التمنيات،

والهجـرة اليهوديـة من الاتحاد السـوفييتي تسـير حسـب المخطط لها، دون اعـتراض ودون ضجـة إعلاميـة..

وإذا كانـت كل هـذه الـبركات والنعـم قـد هبطت عـلى إسرائيل مع صواريـخ (الحسـين) و(العبـاس).. ولم تـترك في شـوارع تل أبيب سـوى حفرة صغيرة.. وسـيارة محترقة.. وزجاج مكسور.. فما أرخص الثمن!!..

إن (صمـت) إسرائيـل، وبـرود أعصابهـا، وامتناعهـا عـن أخـذ الثـأر أكسـبها تقديـر العـالم وإعجابـه، وسـهّل مهمـة اللوبي اليهـودي في كل مـكان في العـالم، بحيـث أصبحـت (حرفـة الشـحاذة) الإسرائيليـة أكثر نشـاطاً وازدهـاراً.. وأصبحـت دول العالم تتسـابق (لبخشـشـة) إسرائيل ببلايـين الـدولارات.. لقـاء أدبها، وحسـن سـلوكها..

لقـد ربحـت إسرائيـل خـلال الأسـبوع الأول مـن حـرب الخليـج، أرباحـاً خرافيـة، دبلوماسـياً، وسياسـياً، وماليـاً، وعسـكرياً..

كان آخرها هدية صواريخ باتريوت إليها..

هـذه هـي حصيلـة (المفرقعـات) التـي أطلقتهـا القيـادة العراقيـة لتحريـر فلسـطين، والفلسـطينيين.

(مفرقعـات).. حولتهـا إسرائيـل بذكائهـا إلى مـشروع اسـتثماري وتجـاري وابتـزازي، وإلى حائـط مبـكى جديـد تـذرف عليـه دموعهـا.

أمـا نحـن فـلا نـزال نتفـرج ببلاهـة عـلى حفلـة الألعـاب الناريـة.. وهكـذا تتـصرف إسرائيـل بذكائهـا المعـروف..

ونتصرف نحن بغبائنا المعروف..

●●●

تتصور القيادة العراقية أنها بهذه المفرقعات الإعلامية تستطيع أن تحرض الشارع العربي والإسلامي..

ولكن الذي حدث، أن هذه المفرقعات لم تنفجر في خندق الأعداء، وإنما انفجرت في ثيابنا.. ولم تؤد إلى تحرير شبر واحد من فلسطين المحتلة، وإنما أدت إلى تشديد قبضة إسرائيل عليها.. ولم تحرك قضية إنشاء الدولة الفلسطينية، بل أدخلتها في ملفات النسيان..

هذا هو المردود السياسي، والإستراتيجي، والإعلامي لهذه المفرقعات، التي تركت حفرة هنا.. وحفرة هناك.. ولكنها لم تسقط شعرة واحدة من رأس إسرائيل..

إن تحرير فلسطين لا يمكن أن يتم بهذا الشكل العشوائي والانفعالي، والنضال من أجل استعادتها لا بد أن يرتكز على إستراتيجية عربية قومية ووحدوية توضع فيها جميع إمكانيات الأمة العسكرية، والبشرية، والاقتصادية على أرض المعركة.

أما استعمال فلسطين كمادة إعلامية، واستعراضية ودعائية على النحو الذي يلجأ إليه النظام العراقي، من أجل خلط الأوراق، وبلبلة الشارع العربي، وتهييج المشاعر الإسلامية والعربية، فلعبة مكشوفة لا تنطلي على أحد.. لأن الذي احتل الكويت بقوة السلاح، لا يحق له أن ينتقد إسرائيل إذا احتلت فلسطين بقوة السلاح أيضاً..

إن كل الاحتلالات تتشابه شكلاً وموضوعاً..

لذلك فإن النظام العراقي، باحتلاله الكويت، لم يعد مسموحاً له أن يقيم الدعوى على إسرائيل بتهمة احتلال فلسطين..

أما المفرقعات الانتخابية التي يطلقها كل ليلة في كل الاتجاهات

فلـن تغير شـيئاً.. ولن تمنع الخـراب.. خراب العقل العربي، والمسـتقبل العربي..

إننـي لا أعـترض عـلى الصواريـخ العراقيـة كجـزء من السـلاح العربي الـذي ندّخـره للمعركـة الكـبرى، وإنمـا أعـترض عـلى توقيتهـا.. وعـلى توظيفهـا للخـروج مـن مـأزق شـخصي.. ومشـكلة فرديـة..

فلقـد كان بإمـكان هـذه الصواريـخ أن تظهـر في مناسـبات قوميـة كثـيرة.. ابتـداء من حـرب 1967 ومروراً بحـرب 1973، وانتهاء باجتياح إسرائيـل للبنـان عـام 1982، وضرب المفاعـل النـووي العراقـي، ولكنها مـع الأسـف كانـت خـلال عقدين مـن الزمـن في إجـازة طويلة..

لذلـك فـإن ظهورها الآن، أي بعـد احتلال الكويت، وانقسـام العرب إلى عربـين، وتناقـض المواقـف، وصراع الأيديولوجيات.. يبـدو مصطنعاً ومتأخـراً ومناقضـاً للتوقيت القومي.

صحيـح أن إطـلاق الصواريـخ قـد يحـرك الخيـال العـربي، ويحـرض الأحـلام القوميـة المكبوتـة، ويدغـدغ غرائـز الثأر لـدى العـرب، الذين طالمـا تعرضـوا للاجتيـاح والغـزو والاحتـلال والإذلال..

لكـنّ المعركـة مـع إسرائيـل لـن تنجـح إلا إذا كانت معركة شـمولية يسـتنفر لهـا العـرب جميـع طاقاتهـم البشريـة والاقتصاديـة والعلمية والثقافيـة والحضارية..

أمـا الصواريـخ الفرديـة التـي تطلـق لإرضـاء غـرور شـخص مـا.. أو نرجسـية نظـام مـا.. فلـن تربـح حربـاً.. ولـن تحـرر أرضـاً..

# صباح الخير..
# أيتها الحرية

# صباح الخير.. أيتها الحرية

بعـد مئتـين وعـشرة أيام، وثمـاني سـاعات، وعشرين دقيقـة، وخمس ثـوان، عددتهـا عـلى أصابـع يـدي، كـما يعد المسـاجين فتافيـت الخبز، وأعقـاب السـجائر، وخيطـان بطانياتهم..

دخلـت عـليّ رائحـةُ الكويـت مـن نافـذة منفـاي في لنـدن، فاخـضرّ لـون دمـي.. وتسـلّق العشـب عـلى جـدران ذاكرتي..

●●●

ما أطول زمنَ المحبوسين في زجاجة الأنظمة الفردية..
زمن من الخَشبَ..
لا يتقدمّ.. ولا يتأخّر.. ولا يشيخ..

●●●

بعد مئتين وعشرة أيام..

أكلتُ فيها نصفَ أظفاري.. ونصفَ دفاتري..

استيقظت صباحاً لأجد مئات الهدايا مكوّمةً فوق سريري..

القمر الكويتي في كيس..

أبراج الكويت في كيس..

دشْدَاشَتي الصيفية في كيس..

ألعاب أولادي، ودفاترهم المدرسية في كيس..

صورة «مبارك الكبير» في كيس..

والبحـر، والكورنيـش، والسـالمية، والجابريـة، ومـشرف، ودسـمان، والشـويخ، والفحيحيـل، والأحمـدي.. وربـة.. وفيلـكا..

كلهـا كانـت ملفوفـة بـأوراق «السـولوفان» والقصـب.. تنتظـر إلى جانـب سريـري..

●●●

رائحة الكويت تهاجمني من كل الجهات..

رائحة الشاي والقهوة في الديوانيات تخترقني من كل مكان..

تبللني.. تثقبني.. تحفرني..

كنت أتصور قبل احتلال بلادي، أن رائحة الحرية رائحة عاطفية، وشعرية، وكمالية.. وأن الطغاة يمكنهم أن يمنعوا استيرادها بمرسوم صادر عن مجلس قيادة الثورة، أسوة بكل مستحضرات الحرية الأخرى من أقلام وأوراق ودفاتر..

ولكنني اكتشفت أن رائحة الحرية هي أقوى الروائح، وأعنفها، وأكثرها التصاقاً بأجسادنا وأرواحنا..

بعد مئتين وعشرة أيام على اختطافها..

عادت إلينا الكويت وجهاً مغسولاً بالدمع والحزن والكبرياء..

عادت منهكةً، محطمة، ممزقة الثياب، دامية الشفتين.. لن ندخل في تفاصيل خطفها.. ولن نسجل إفادتها، ولن نجري معها حواراً صحافياً.. لأنها تعاني من صدمة عصبية قوية، ولأن حالتها النفسية لا تسمح لها بالكلام مع أحد..

ثم لن نسألها عن اسم المعتدي، وعنوانه، وأوصافه.. فهو معروف جداً.. ومشهور جداً.. ويظهر كل ليلة على قناة الـ C.N.N.

●●●

بعد مئتين وعشرة أيام..

عـادت إلينـا الكويـت، حافيـةً، جائعـةً، مصابـةً بفقـر الـدم، بعد أن جرّدهـا الخاطفـون مـن حقيبـة يدهـا، وخاتـم زواجهـا، وآخر خمسـة دنانـير كانـت في جيبها..

بعد مئتين وعشرة أيام..

هربـتِ الكويـت مـن زوجهـا الفـظّ.. المتسـلّط.. والعـدواني.. الـذي تزوّجهـا رغـم أنفهـا بقـوة السـلاح.. وصواريـخ سـكود.. والكيميـائي المـزدوج..



# بعد الزلزال

# بعد الزلزال

في مثل هذا اليوم، قبل عام تعرض بلدي الحبيب الكويت لزلزال عنيف، لم يعرف تاريخ المنطقة زلزالاً أشد منه هولاً، وبشاعة، وتدميراً.

زلزال لئيم ضرب خلال لحظات البنية القومية للأمة العربية، وأعادنا سياسياً إلى نقطة الصفر.

زلزال غيّر تضاريس الأرض، وتضاريس الإنسان، وحول العقل العربي إلى منخل بألوف الثقوب.

زلزال غيّر قوانين البيئة، وأطفأ نور الشمس، وقتل الأسماك في خلجانها، والطيور في سماواتها، والأجنّة في أرحامها..

زلزال أخذ منّا أوكسجين الحرية، ولم يترك لنا سوى ثاني أوكسيد الكربون..

●●●

وإذا كانت الزلازل تقاس عادة بمقياس (ريختر)، فإن الزلزال الذي ضرب الكويت فجر الثاني من آب (أغسطس) 1990، كسر كل القوانين الجيولوجية والفيزيائية، من زلزال بومبي، إلى انفجار قنبلة هيروشيما، إلى طوفان بنغلاديش، إلى انفجار مفاعل شرنوبل.

وإذا كان بعض الزلازل يتمتع بحد أدنى من الأخلاق والرحمة والخوف من الله، فإن الزلزال العراقي الذي ضرب الكويت، لا علاقة له بأي مفهوم أخلاقي، أو حضاري، أو قومي، أو عروبي، أو إنساني.

إنه لعبة (بوكر) مكشوفة، لعب فيها الرئيس العراقي برصيد مئتي مليون ومصيرهم.. وخسر الأول والآخر..

●●●

ليس ثمة أوصاف، أو نعوت، أو مفردات، تكفي لوصف ما فعله النظام العراقي ببلدي.

هل أسمّي ما حدث استعماراً؟

لا.. فكلمة الاستعمار التي طالما رفضناها، وكرهناها، وقاومناها، تبدو متواضعة جداً، وبريئة جداً، ومظلومة جداً.. أمام تجربتنا مع (أبناء عمومتنا).

فنماذج الاستعمار القديمة كما عرفناها على يد البرتغاليين، والهولنديين، والطليان، والإنجليز، والفرنسيين.. كانت تعطي باليد اليمنى، وتأخذ باليد اليسرى، وتسرق ثمرة الشجرة، وتترك الشجرة.. وتأخذ نصف محصول الشاي، وتترك نصفه الآخر لشعوب المستعمرات.. وتحتكر مناجم الذهب والفضة، ولكنها لا تسرق الأساور والخواتم من خزائن النساء.. وتصطاد الأفيال والنمور، ولكنها لا تصطاد البشر.. وتأكل لحم الإنسان..

●●●

في اليوم الثاني من آب (أغسطس) 1990، دخل التاريخ العربي إلى ملجأ الأيتام.. وتقلص الوطن العربي ليصبح بحجم قرية صغيرة اسمها (تكريت).

في مثل هذا اليوم قبل عام تخلخلت كثير من القيم، وسقطت عشرات الأقنعة.. وتكسر زجاج العروبة ألف قطعة..

في ذلك اليوم الشديد.. تحولت (الأمة العربية ذات الرسالة الخالدة) إلى فتافيت أمة.. وتحوّل مئتا مليون عربي خلال ساعات إلى متسولين على أرصفة العالم، لا يعرفون لماذا؟ ولا يعرفون إلى أين؟..

●●●

في الثاني من شهر آب (أغسطس) 1990..

اختلطت أوراقنا بشكل كاريكاتوري.. كوميدي.. سيريالي..

أصبح احتلال الكويت حلالاً..

وتحرير فلسطين حراماً..

تحوّل الثوار إلى صيارفة..

وتحوّل الصيارفة إلى ثوريين.

لبس العلمانيون عمامة أبي حنيفة..

وصار تشاوشيسكو خليفة على المسلمين..

نهب الاشتراكيون كل ما في الكويت من أرزاق.. من طائرات البوينغ إلى إبرة الخياطة.. إلى حاضنات الأطفال..

وتركوا فقراء العالم العربي على الحصيرة..

● ● ●

بعد مرور عام على ادعاءات (الأمومة) العراقية الكاذبة..

تتلفَّتُ (المحافظة التاسعة عشرة) إلى أمها التي تدّعي الحنان..

فتكتشف أنها هربت من الباب الخلفي بعد أن سرقت ثياب طفلتها والغطاء.. وزجاجة الحليب..

فأي أمومة نموذجية تلك التي تضرم النار في ثياب ابنتها؟ وفي ثمانمئة بئر نفط سوف تبقى مشتعلة من الآن حتى نهاية القرن؟..

هل هناك طبيب نفساني يمكن أن يشرح لنا كيف تنحرف الأمومة بهذا الشكل المَرَضي؟..

أم أن من عادة القطط المتوحشة أن تأكل أولادها؟؟..

●●●

إن الخـراب الـذي أحدثـه الغـزو العراقي للكويت، هـو أكبر من كل الإحصـاءات ومـن كل التوقعات، ومـن كل ذكاء الكمبيوترات..

صحيح أن الزلزال العراقي، اسـتمر سـبعة أشـهر فقط.. لكن الخراب المـادي والنفسي، والاقتصـادي، والاجتماعي، والسـياسي، والبيئي، الذي تركه خلفه سـوف يسـتمر طويلاً..

وإذا افترضنـا أن الـركام المـادي يمكـن إزالتـه بالبلـدوزر، فمـن يزيل هـذا الـركام النفـسي الهائـل الـذي تجمّع في أعـماق النفـس الكويتية؟

إنه خراب طال بجنونه، وساديته، ووحشيته كل شيء..

خـراب زرع المتفجـرات تحت شـجرة الحيـاة.. فقتل الـزرع والضرع والجـماد والنبـات.. ولـوّث البيئـة مـن شـواطئ الخليـج، إلى جبـال همالايا.

●●●

لا أريد أن أفتح كتاب الأحزان..

فالشريط طويل.. طويل..

ولكنني أود أن أقول إن الكويت لم تمت، ولم تفقد إيمانها بنفسها، وبقدرتها على الخروج من بطن التنين..

إن الأحزان قد تقتل الجبناء والضعفاء والمستسلمين، ولكنها لا تقتل أبداً من يؤمنون بربهم، ووطنهم، وقدرتهم على صنع الحياة.

إن الكويتيين يولدون مرة أخرى بعقل جديد، وفكر جديد، وتصميم جديد على التحدي والمواجهة.

وإذا كان القرن الواحد والعشرون سيرتب علاقاته على أساس العلم والتكنولوجيا فيجب أن نكون متعلمين.. وإذا كان سيقيم علاقاته على أساس الواقعية فلابد أن نكون واقعيين وبراغماتيين.

وإذا كان سيقيم علاقاته على مبادئ العدل والحرية والديمقراطية فسوف نكون أول العادلين، وإذا كان النظام العالمي الجديد سيرتكز على مبدأ القوة، فلا بد أن نكون أقوياء، وقادرين على حماية أسوار وطننا.

●●●

لا أريد أن أفتح الحسابات السرية عن هذه السنة المضرجة بالخوف، والدم، والقهر، والموت، والجريمة..

لا أريد أن أعيد مسلسل الرعب من أوله، فهو لا يليق بقيمنا، وتاريخنا، وشمائلنا العربية.

كل ما أريد أن أقوله إنني كامرأة كويتية فخورة بهذا الصمود الخرافي الذي أظهره الشعب الكويتي في وجه غزاته، وبهذا التلاحم الرائع في نسيج المجتمع الكويتي.

ولسوف يسجل تاريخ الحرب الخليجية بكل زهو وكبرياء، أن النظام العراقي، بكل غروره وغطرسته ومخابراته وآلته الحربية الفتاكة، لم يستطع أن يجند مواطناً كويتياً واحداً يرضى أن يكون دليلاً أو عميلاً له في ممارسة احتلاله.

لم يستطع النظام العراقي بكل الدنانير، والثروات وسبائك الذهب التي سرقها منا أن يشتري رجلاً.. أو امرأة.. أو طفلاً من أبناء الكويت.. ولم يستطع أن يستأجر أحداً أو يستوزر أحداً.. أو يرتهن أحداً..

كان بإمكان مليون جندي عراقي مدججين بالسلاح حتى أسنانهم، أن يغتصبوا الأرض خلال ساعات، ولكن كان من المستحيل عليهم أن يغتصبوا الضمير الكويتي.

تلك هي معجزة هذا الشعب الصغير، المؤمن، المسالم الذي ظل محتفظاً بكبريائه، وشموخه، وأصالته، حتى انتصر..

•••

بعد عام على انحسار الزلزال، تحتاج الكويت إلى عملية نقد ذاتي، وإلى مراجعة طويلة وقاسية مع النفس.

لا مكان اليوم، للتواكل، أو اللامبالاة، أو الكسل.. إن (زمان الوصل بالأندلس) قد سقط مع سقوط الأندلس، ولم يعد بإمكاننا أن ندفن رؤوسنا في الرمل كالنعام.. متناسين أن الثعلب لا يزال حياً يرزق.. ولا تزال عينه على (المحافظة التاسعة عشرة)..

لقد ارتكبنا بلا شك أخطاء، وليس عيباً أن نعترف بأخطائنا.. بل العيب أن نستمر في الخطأ..

وإذا كان للعالم مآخذ على فلسفتنا، ومناهجنا، وتصرفاتنا فيجب ألا نغلق آذاننا أمام ما يقال، فليس هناك إنسان ولا نظام معصوماً من الخطأ.

يجب أن نتعلم، ويجب أن نتغير، ويجب ألا نخاف من مواجهة المرايا ومواجهة أنفسنا..

إن التحولات التي طرأت على العالم خلال العقد الأخير، سياسياً، وأيديولوجياً، واقتصادياً، وثقافياً.. تدفعنا إلى الخروج من قوقعتنا، وأفكارنا السابقة، وخوفنا المزمن، لنصبح جزءاً من إيقاع العصر، ومتطلبات النظام العالمي الجديد.

سوف نعمّر الكويت مرة أخرى مهما طال الزمن، وسوف نجعلها جزيرة حب وواحة سلام.. ولسوف نستفيد من تجاربنا وأخطائنا الماضية، فالحياة دروس ومعارف وتجارب.. وأتصور أننا تعلمنا الدرس جيداً..

# أوراق من
# كتاب التحرير..

## أوراق من كتاب التحرير..

كتابُ تحرير الكويت كتاب كبير..

وقد شارك في تأليف هذا الكتاب مئات الألوف من الكويتيين، رجالاً ونساءً، كباراً، وصغاراً، شيوخاً ويافعين، مقيمين ومهاجرين.. كلُّ واحد منهم أضاف إلى الكتاب سطراً أو كلمة أو نقطة.. حتى أشرق ضوء الشمس، وقرعت أجراس الحرية.

إن كتاب حريتنا ليس له مؤلف واحد.. أو كاتب واحد.. ولم تكتبه يد واحدة.. وإنما هو نشيد جماعي شاركت فيه ألوف الشفاه والحناجر..

إنه عمل سيمفوني، شارك فيه كل كويتي بجملة موسيقية حتى اكتمل النشيد..

●●●

ولسـوف أحـاول في هـذه الأوراق القليلة أن أجمع خيطـان الذاكرة، وأرسـم صـورة لمشـاهد أخـرى مـن نضـال الكويتيـين في المنفـى الذين استفاقوا صبيحـة اليـوم الثـاني مـن آب (أغسـطس) 1990، ليجدوا أن سجادة الوطـن قد سـحبت مـن تحـت أرجلهم..

ورغـم أن الضربـة فـوق دماغنـا كانت قاتلـة، لكنهـا لم تقتلنا، ورغم أن (الاسـتعمار الجديـد) كان جديـداً علينا، لكننا لم نستسـلم..

وبدأنا نتحرك على كل الجبهات.. كخلية نحل..

وصـارت السـفارة الكويتيـة في لندن بيتنـا.. واللجنـة الكويتية العليا عنواننـا الدائم..

كنـا مسـتنفرين كصيدليـات الخفـر 24 سـاعة، ونعمـل كتفـاً إلى جانـب كتـف مـع الرجـال، وكان أولادنـا يضربـون عـلى الآلـة الكاتبة، ويوزعـون المنشـورات والبيانـات، ويعملـون سـعاة بريـد.. ويغسـلون الصحـون والفناجـين..

وتألفـت عـلى الفـور لجنـة للإعـلام، ولجنـة للإعاشـة والمسـاعدة الاجتماعيـة، ولجنـة ثقافيـة، ولجنـة للنظـام، ومركـز للدراسـات.. كلها تحـت مظلـة اللجنـة الكويتيـة العليـا..

ومُـدت أيـدي المتطوعـين إلى كل كويتـي حتى يشـعر بـأن وطنه لن يتخـلى عنـه في زمن المحن والشـدائد..

●●●

الأيام التي تلت الغزو كانت أياماً شديدة الوطأة على نفسي..

فلقد مات عمي الشيخ فاضل الحمد الصباح في لندن إثر انفجار في المخ في أول أيام الغزو، ولم نجد طريقة لنقله إلى الكويت، فاضطررنا إلى دفنه في تراب المنفى..

أما زوجي الشيخ عبد الله المبارك الصباح فقد أذهلته الصدمة، ودخل في حالة الصمت والإحباط والاكتئاب.

لم يصدق، وهو العربي الأصيل، أن يدخل الاستعمار عليه من نافذة بيته..

●●●

ورغم الإطار الرمادي الذي كان يحيط بي..

قررت أن أخرج من حالة الذهول، وأدخل مرحلة الفعل.. وبدا لي أن سلاح الإعلام، هو السلاح الأقوى، والأكثر تأثيراً في العقل الأوروبي، وبدأت أكتب غضبي.. نثراً وشعراً في الصحف السعودية الصادرة في لندن، وعلى رأسها صحيفة الشرق الأوسط التي فتحت قلبها وصفحاتها بكل محبة لكلماتي.

وكنت بذلك أول كاتبة كويتية تتصدى للعدوان في الصحافة الدولية، وساعدني في ذلك كوني عضواً مؤسساً وعضواً في اللجنة التنفيذية للمنظمة العربية لحقوق الإنسان.

●●●

في يـوم 6 آب (أغسـطس) 1990، قابلـت الأخ د.محمـد الرميحـي في السفارة الكويتية في لندن للمرة الأولى، وطلب مني أن ألقاه لأمر مهم.

وعندمـا التقيتـه، قـال لي إن الشـيخ نـاصر محمـد الأحمـد الجابـر وزيـر الإعـلام يهديـك تحياتـه، ويطلـب منـي أن ألقـاه لأمـرٍ مهـم، ويطلـب أن نتعـاون معـاً لإصـدار جريـدة تعـبّر عـن صـوت الكويتيين في الداخـل والخـارج.

ورحّبـت بالفكـرة، وأعلنـت اسـتعدادي التـام لحمـل أعبـاء هـذا المـشروع ماديـاً ومعنويـاً، إذا لم تسـتطع الحكومـة الكويتيـة (بسـبب تجميـد الأمـوال الكويتيـة في الخـارج) الإنفـاق عـلى هـذا المـشروع.

وفي اليـوم التـالي قابلـت الدكتـور محمـد الرميحـي، وأطلعنـي عـلى فاكـس مـن الشـيخ نـاصر محمـد الأحمـد الجابـر يقـدر لـديّ روح التعـاون لإنجـاح هـذا المـشروع القومـي، وأخبرني بـأن الأسـتاذ محمد الصقـر وشركاءه أعلنـوا اسـتعدادهم لوضـع جريدة (القبـس) الدولية تحـت تـصرف الحكومـة الكويتيـة لتكـون صـوت الكويـت في العـالم.

وعـلى الرغـم من قلـة الإمكانيـات المتوفرة، وضيق مسـاحة التحرير التـي لم تكـن تزيـد عـلى صالـة وغرفـة، فقـد اسـتطاع الأخ الدكتـور محمـد الرميحـي بالتعـاون مـع الأخ الشـاعر عبـد الرحمـن النجـار، وعـدد قليـل مـن المحرريـن، أن ينهضـوا بهـذا العـبء، ويطلقـوا صـوت الكويـت عاليـاً فوق منبر مـن أهم منابـر الصحافـة الغربية في العاصمـة البريطانيـة.

وقـد جنـدت قلمـي منـذ اللحظـة الأولى للكتابـة في القبـس الدولي، وشاركت بقصائدي ومقالاتي اليومية في مواكبة مسيرة التحرير والمقاومة.

●●●

وعلى الصعيد الثقافي، كنت أقوم بدور ضابط الارتباط بكبار الكتّاب والمثقفين في القاهرة أو بقية العواصم العربية، من أمثال الأستاذ نجيب محفوظ ود.يوسف إدريس والأستاذ مصطفى أمين ود.فؤاد زكريا ود.سعدالدين إبراهيم ود.علي الدين هلال ود.إبراهيم صقر ود.يحيى الجمل والأستاذ فاروق جويدة والأستاذ فاروق شوشة ود.عمرو محي الدين والأستاذ حسن راضي ود.أحمد الغندور.. لكسب تأييدهم للقضية الكويتية إلى جانب المؤسسات والهيئات الحقوقية والإنسانية كاتحاد المحامين العرب، ومنظمة العفو الدولية، والمنظمة العربية لحقوق الإنسان، واتحاد العمال العرب، والمنظمة العالمية للحقوق النقابية، والرابطة العربية الأمريكية.

كما كان لي شرف المشاركة في كل المسيرات وحركات الاعتصام التي قام بها المواطنون في لندن والحوارات السياسية التي تجرى أيام الآحاد في حديقة الهايد بارك اللندنية.

●●●

لم أهمل أيضاً الدور الإذاعي في توعية الجماهير، وحرصت أن يكون للإذاعة في القارة الأوروبية دورها في نقل موقف الكويت السياسي والرسمي والشعبي إلى الجالية العربية والإسلامية المقيمة في بريطانيا، وذلك حين قمت بالتغطية المادية لتقديم ساعة يومية في راديو (سبكتروم) يخصص لصوت الكويت.

وقد أشرف على إعداد هذا البرنامج الأخ الأستاذ بدر الرفاعي والمذيع محمد المطوع.

كما كان لي خلال فترة الاحتلال برنامج يومي في إذاعة الكويت في الدمام عنوانه (صباح الخير يا وطني)، وهو برنامج لا يزال يبث حتى الآن في إذاعة الكويت، بالإضافة إلى برنامج آخر هو عبارة عن تقرير يومي ألخص فيه جميع ما يكتب عن الكويت في الصحافة البريطانية.

●●●

وعلى صعيد الإعلام الخارجي سافرت إلى واشنطن بتاريخ 1990/9/2 أي بعد مرور شهر على الاحتلال، وذلك بدعوة من اتحاد الطلبة الكويتيين في الولايات المتحدة، شاركت مع الشيخ أحمد القطان، في طرح قضية الكويت في المهجر، وفي إذكاء الشعور الوطني لدى الطلبة الكويتية الذين يدرسون هناك.

وفي أكتوبر 1990، سافرت إلى القاهرة، وهي العاصمة الأولى للإعلام العربي، حيث قدمت العديد من اللقاءات الشعرية مع الشعراء المصريين المعروفين لنصرة قضية الكويت.

وفي القاهرة قمت بإصدار أول مجموعة شعرية عن الغزو (برقيات عاجلة إلى وطني)، وأول كتاب نثري عن القضية الكويتية هو هذا الكتاب (هل تسمحون لي أن أحب وطني؟).

هذا بالإضافة إلى شريط كاسيت، سُجّل وطبع في القاهرة، ويتضمن جميع قصائدي التي كتبتها دفاعاً عن كبرياء بلادي وحريتها.

وتكررت زيارتي للقاهرة لنفس المهمة، وكان آخرها بدعوة لمؤتمر الشعر الدولي في شهر ديسمبر.

وكانت دمشق، محطة قومية مهمة على خارطة تنقلاتي الثقافية، فقد ذهبت إليها مع الصديق الشاعر الأستاذ عبد الرحمن النجار، بدعوة من مركز الإعلام الكويتي في العاصمة السورية، حيث قدمنا في صالة مكتبة الأسد، أهم ما كتبناه من شعر المقاومة، على جمهور مشتعل ثقافياً، وعربياً، وقومياً.

أما على صعيد العمل الإعلامي في أوروبا، فقد سافرت إلى جنيف، وقمت باتصالات مكثفة مع أعضاء المنظمات العالمية لحقوق الإنسان، ثم واصلت سفري إلى براغ حيث شاركت في مؤتمر المنظمة

العالميـة للحقـوق النقابيـة، وقدمـت ورقـة للمؤتمر في موضـوع الغزو العراقـي للكويت.

•••

الورقـة الأخـيرة مـن هـذه الأوراق، أود أن أخصصهـا لعـدد مـن المناضلـين الأصدقـاء الذيـن كانـوا كتيبـة مقاتلـة على الخطـوط الأولى مـن معركـة التحريـر.

وعـلى رأس هـذه الكتيبـة المقاتلـة، يـأتي صديقنـا الدكتـور محمـد الرميحي الأشـبه بدينامو ثقافي وإعلامي يشـتعل ليلاً ونهاراً، للتعريف بقضيـة الكويـت، وشرعيـة نضالهـا. وهي شـهادة مـن القلـب، أقدمها لهـذا الكاتـب الذي حمل الكويـت فوق أهدابه وزرعهـا في كل مكان.

وإذا كان لي أن أضـع زهـرة مـن الغـار عـلى جبـين واحـد مـن أكـثر الكويتيـين نقـاءً، وأصالـة، وموهبـة، فإننـي أضعها على جبـين الصديق الشـاعر عبـد الرحمـن النجـار الـذي كان سـفيراً من أكبر سـفرائنا على صعيـد الكلمة الشـاعرة.

ولا أنـسى بطبيعـة الحـال هؤلاء الجنـود المجهولين في عـالم الصحافة الذيـن نـذروا أقلامهـم، وأعصابهـم، ووقتهـم للدفـاع عـن سـيادة الكويـت وتراثهـا، وجذورهـا، وحقهـا في الحيـاة.

ولـن أنـسى، وأنـا أختـم أوراقي، اللجنـة الكويتيـة العليـا، وما قامت بـه مـن أعـمال لإظهـار وجـه الكويـت الناصـح، والمواطنـين الكويتيـين الرائعـين الطيبـين، الذيـن صـبروا وصابـروا، والتلاميـذ الذيـن تركـوا منازلهـم وجامعاتهـم ومدارسـهم ومكاتبهـم، وانطلقـوا في شـوارع العواصـم الغربيـة، تحـت المطـر والثلـج، والضبـاب والريـاح، ليؤكدوا

للعالم أن الوطن الصغير الجميل لن يمحى من الخارطة.. وأن الكويت لن تموت..

# المحتويات

نشرت مقالات هذا الكتاب في صحف:

- الحياة (لندن)
- القبس الدولي (لندن)
- صوت الكويت (لندن)
- الشرق الأوسط (لندن)

# مؤلفات د. سعاد محمد الصباح

## إصداراتها الشعرية :

| الديوان | دار النشر | سنة الطبع |
|---|---|---|
| من عمري | دار اليوم / بيروت | 1964 |
| أمنيــة | دار المعارف / القاهرة | 1971 |
| إليك يا ولدي | دار المعارف / القاهرة | 1982 |
| فتافيت امرأة | الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة | 1985 |
| في البدء كانت الأنثى | منشورات رياض الريس / لندن | 1988 |
| حوار الورد والبنادق | منشورات رياض الريس / لندن | 1989 |
| برقيات عاجلة إلى وطني | الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة | 1990 |
| آخر السيوف | دار سعاد الصباح / الكويت | 1992 |
| قصائد حب | دار سعاد الصباح / الكويت | 1992 |
| امرأة بلا سواحل | دار سعاد الصباح / الكويت | 1994 |
| خذني إلى حدود ا لشمس | دار سعاد الصباح / الكويت | 1997 |
| القصيدة أنثى والأنثى قصيدة | دار سعاد الصباح / الكويت | 1999 |
| و الورود تعرف الغضب | دار سعاد الصباح / الكويت | 2005 |
| رسائل من الزمن الجميل | دار سعاد الصباح / الكويت | 2006 |

## إصداراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية:

| | | |
|---|---|---|
| التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة | لندن 1983 | دار ايستلوردز |
| أضواء على الاقتصاد الكويتي | لندن 1985 | دار ايستلوردز |
| المرأة الخليجية ومشاركتها في القوى العاملة | لندن 1986 | دار ايستلوردز |
| الأوبك : التجربة السابقة والتوقعات المستقبلية | لندن 1986 | دار ايستلوردز |
| سوق النفط الجديد : المملكة العربية السعودية تستعيد مبادرتها | لندن 1986 | دار ايستلوردز |
| أزمة الموارد في الوطن العربي | لندن 1989 | دار ايستلوردز |
| هل تسمحون لي أن أحب وطني | القاهرة 1990 | الهيئة المصرية العامة |
| صقر الخليج: عبد الله المبارك الصباح | الكويت 1995 | دار سعاد الصباح |
| حقوق الإنسان في العالم المعاصر | الكويت 1995 | دار سعاد الصباح |
| حقوق الإنسان : بين النظرية والتطبيق | الكويت 1997 | دار سعاد الصباح |
| ماذا تعرف عن حقوق الإنسان ؟ | الكويت 1997 | دار سعاد الصباح |
| أوراق في قضايا الكويت (1) | الكويت 2006 | دار سعاد الصباح |
| أوراق في قضايا الكويت (2) | الكويت 2006 | دار سعاد الصباح |
| أوراق في الاقتصاد الخليجي | الكويت 2006 | دار سعاد الصباح |
| أوراق في السياسة الدولية | الكويت 2006 | دار سعاد الصباح |
| أوراق في الاقتصاد السياسي الدولي (1) | الكويت 2006 | دار سعاد الصباح |
| أوراق في الاقتصاد السياسي الدولي (2) | الكويت 2006 | دار سعاد الصباح |
| أوراق في السياسة النفطية (1) | الكويت 2006 | دار سعاد الصباح |

| | | | |
|---|---|---|---|
| أوراق في السياسة النفطية (2) | الكويت | 2006 | دار سعاد الصباح |
| مبارك الصباح مؤسس دولة الكويت الحديثة | الكويت | 2007 | دار سعاد الصباح |
| كلمات خارج حدود الزمن | الكويت | 2008 | دار سعاد الصباح |

# سعاد محمد الصباح

ابنة حفيد حاكم الكويت (السادس) الشيخ محمد الصباح
وقرينة نائب الحاكم عبدالله مبارك الصباح

- شاعرة عربية وناشطة في مجال حقوق الإنسان، ناشرة، ومؤلفة.
- دكتوراه في الاقتصاد - جامعة ساري - لندن 1982
- رئيس مجلس إدارة شركة "المجموعة العملية القابضة".
- أسست "دار سعاد الصباح للنشر" عام 1988.
- رئيس "مؤسسة مبرة عبدالله مبارك الصباح الخيرية".
- عضو مؤسس للعديد من المنظمات غير الحكومية في الكويت وفي الوطن العربي وفي العالم.
- شاركت في العديد من المؤتمرات.
- أقامت الكثير من الأمسيات في عواصم ومحافل دولية وعربية.

## حاصلة على:

- جائزة الكويت التقديرية في الآداب والفنون 2002.
- درع التفوق من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.
- درع الشرف من معهد العالم العربي في باريس.
- كرمتها جامعة الكويت بمناسبة يوم الأديب عام 2005.

- منحتها الجامعة العربية في القاهرة لقب السيدة العربية المميزة في الثقافة والآداب.
- منحتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان في القاهرة بطاقة العضوية رقم (1) تقديراً لدورها الجليل في قيام المنظمة واستمرارها.
- منحتها الملكة إليزابيث الثانية الوسام الملكي C.B.E تقديراً لمساهمتها الثقافية والتعليمية التي قامت بها من أجل تمتين العلاقات بين الكويت وبريطانيا عام 2007.
- منحتها جمعية تعزيز وممارسة أفكار مانهي (Manhae) الكورية الجنوبية جائزة الأدب للعام 2012 وللرئيس المناضل نلسون منديلا جائزة السلام.
- اختيرت من بين 10 نساء مؤثرات في مجتمعاتهن على مستوى العالم، كواحدة من عظيمات سيدات القرن الـ 21 من قبل المعهد الأمريكي للسيرة الذاتية، في العامين 2006 - 2007.
- قامت وزارة التربية في الكويت بتسمية إحدى مدارسها في منطقة المنصورية باسمها 2013.

- قلّدها رئيس جمهورية تونس د. محمد المنصف المرزوقي وسام الجمهورية (الصنف الأكبر) في أبريل 2012.

التحولات التي قلبت المفاهيم والأيديولوجيات والأفكار الخاطئة يجب أن تحولنا..
كل شيء يتحرك من حولنا ونحن واقفون.. وكل شيء يستيقظ ونحن نائمون.. وما لم ندخل (نادي التاريخ) مع الداخلين، فسوف نبقى خارج التاريخ.

سعاد الصباح

